المعـاجـمُ

ما المعجم ؟ ومتى عُرِفَ معناه الاصطلاحى ؟

المعجم : كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها ، على أن تـكون المواد مرتبة ترتيباً خاصاً ، إما على حروف الهجاء أو الموضوع ، والمعجم الـكامل هو الذى يضم كل كلمة فى اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تُبَـيِّنُ مواضع استعمالها .

ولا يطلق المعجم على غير هذا ، فإذا جمعنا كل ألفاظ اللغة فى كتاب ولم نُصْحِبْها فإنه لا يُسَمَّى معجما ، وكذلك لا يُسَمَّى معجما إذا وضعنا فيه كلمات معدودة مشروحة ، بل لا بد أن يكون المعجم كما عرّفناه ووصفناه .

متى عرفت كلمة المعجم

ولا نعلم بالدقة متى أطلق المعجم على هذا الاستعمال ، ولـكن الذى نعلمه أن أول من استعمل الـكلمة رجال الحديث ، وأول ماعرف كان فى القرن الثالث ، فقد جاء فى صحيح الإمام البخارى[1] عنوان من تعبيره وقوله ؛ وهو : « باب تسمية من سُمِّىَ من أهل بدر فى الجامع الذى وضعه أبو عبد الله على حروف المعجم » والجامع أحد كتب البخارى ، ويريد بأبى عبد الله نفسه ، وللبخارى « التاريخ الـكبير[2] » رتب فيه أسماء الرجال على حروف المعجم مبتدئاً بالمحمدين ، وأول كتاب أطلق عليه اسم المعجم هو « معجم الصحابة » لأبى يعلى أحمد بن على بن المثنى بن يحيى بن عيسى

(١) أسماء المؤلفين ١ : ٥٧ .
(٢) أسماء المؤلفين ١ : ٤٤٤ .

ابن هلال التميمى الموصلى الحافظ محدث الجزيرة ، وقد ولد سنة ٢١٠ هـ وتوفى سنة ٣٠٧ هـ . وقد ارتدفه أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى المحدث المعروف بابن بنت منيع المولود سنة ٢١٤ هـ والمتوفى سنة ٣١٥ هـ . وسمى كتابيه الذين ألفهما فى أسماء الصحابة : المعجم الكبير، والمعجم الصغير . ثم كثر إطلاقه واستعماله بين من ألفوا فى الحديث ، وعنهم أخذه اللغويون .

وجاء فى أثر منسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم استعمال كلمة المعجم ، ونورده هنا رجاء أن يلتقى من يحققه ؛ فيبنى عليه — إذا صح أنه حديث — حقائق علمية قد تفتح أبواباً جديدة لبحث لغوى خطير ، وأنا بحثت عن هذا الحديث فلم أجده بين مرويات أبى ذر .

جاء فى مقدمة كشف الظنون[1] « فى حديث أبى ذر رضى الله عنه قال : يارسول الله ، أى كتاب أنزله الله على آدم عليه السلام ؟ قال : كتاب المعجم . قلت : أى كتاب المعجم ؟ قال : أ ب ت ث ج . قلت : يارسول الله ، كم حرفا ؟ قال تسعة وعشرون حرفا » .

ولعل إطلاق المعجم على الفهرس الذى يضم كلمات اللغة المشروحة المبوبة المرتبة ترتيباً خاصاً كان لأسباب أقربها أن الإعجام يزيل اللبس ويوضح المبهم ، وأن الكلمات تتألف من حروف المعجم .

أى الأمم سبقت إلى المعجم ؟

وننتقل بعد هذا إلى سؤال آخر : هل عرف العرب المعجم قبل غيرهم من الأمم أم كانوا مسبوقين إليه ؟

(١) مقدمة كشف الظنون ص ٢٥ .

لا شك أن العرب لم يكونوا أول من ابتكر تأليف المعجم بل سبقتهم أمم بقرون مثل الأشوريين والصينيين واليونان .

فالأشوريون اهتموا باللغة ومفرداتها وقواعدها ، وعرفوا المعاجم قبل العرب بأكثر من ألف سنة ، فقد ابتكروا معاجم خاصة بلغتهم ذات ترتيب يغاير ما عرف العرب من ترتيب ، فالأشوريون خافوا على لغتهم أن تضيع ، فصنّفوا معاجم دعتهم إليها الضرورة عندما تركوا نظام الكتابة الرمزية القديمة واستبدلوا به نظام الإشارات المقطعية أو الألفبائية ذات القيم الصوتية ، ولكن مرور الزمن أبهم عليهم معرفة النظام الجديد ، فجمعوا مسارد (قوائم) وعرّفوها بطريقتهم القديمة ، وأعانهم على ذلك أن لغتهم السومرية القديمة لم تكن قد انمحت بعدُ لأن الكهنة كانوا يستعملونها فى شعائرهم الدينية ، وجمعوا ألفاظها فى مسارد محفورة على قوالب الطين ، وأودعوها مكتبة أشور بانيبال الكبيرة التى كانت بقصر قويونجيك فى نينوى (٦٦٨ — ٦٢٥ قبل الميلاد) وقد وصل إليها الكشف العلمى فصارت مصدراً صحيحاً لتاريخ الأشوريين[1] .

وعلى بعض الأقوال التى أيدتها الكشوف العلمية الأخيرة أن الأشوريين هم العرب القدماء ، فإذا صح هذا فإن أسلاف العرب الأقدمين هم من أوائل من ابتكروا المعجم أو كانوا أول المبتكرين فى هذا السبيل .

وعرف الصينيون المعاجم قبل العرب ، ولديهم منها طائفة صالحة أقدمها معجم اسمه « يوپيان » Yu pien وألفه كو يى وانج Ku Ye Wang وطبع

---

(١) حضارة بابل وأشور ٤١ — ٤٧ .

سنة ٥٣٠ بعد الميلاد ، ثم معجم آخر اسمـــه شوفان Shwo wan تأليف هوشن Hü-Shin وطبع سنة ١٥٠ قبل الميلاد ، وهما أساس معاجم الصين واليابان .

وعرف اليونان المعاجم قبل العرب أيضاً ، وذكر أتنيوس Athenaeus خمسة وثلاثين مؤلفا زعموا أنها قد تكون معجمات ، وقيل : « زعموا » لأن هذه الكتب جميعها مفقودة ، ومن الصعب البت فى أنها معجمات ، ولكن الثابت مما وصل إلى الخلَف من المخطوطات التى قام علماء أوروبا بطبع أكثرها أن اليونان وضعوا معاجم ؛ بعضها على الحروف الأبجدية ، وأكثر من وضعوا هـذه المعجمات من علماء جامعة الاسكندرية فى عهد البطالسة وبعدهم ، وكان بعض هذه المعاجم خاصا مقصورا على مفردات بعض الخطباء أو المفردات الواردة فى كتب أفلاطون الفلسفية أو الخطباء الأتيكيين العشرة ، أو كتب أبقراط الطبية ، وبعضها لغوى .

وأقدم المعاجم أو الكتب اللغوية فى اليونانية — واللاتينية أيضاً — كانت مجموعة من الغريب فى الألفاظ والعبارات ، وكانت مقصورة على مؤلَّف أو كتاب .

وأقدم المعجمات اليونانية القديمة معجم يوليوس بولكس Yulius Pollux وهو كالمخصص لابن سيده ، مرتب على المعانى والموضوعات ، ومعجم هلاديوس Helladius السكندرى ، وكان فى القرن الرابع الميلادى .

وأقرب هذه المعاجم شبها بالمعجم العصرى : معجم فاليريوس فيلكس Valerius Flaccus وكان فى عهد الإمبراطور أغسطس — وفى أيامه ولد سيدنا المسيح عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم — وعنوانه « فى معانى الألفاظ » وما يزال موجزه باقياً حتى الآن .

وألف هزيشيوس السكندرى Hesyehius فى القرن الرابع الميلادى معجم « اللهجات والمحليات » ومعجم « ما اتفق لفظه واختلف معناه » لأمونيوس السكندرى Ammonius ووضع أريون الطِّيبى Arion of Thebes — وهو من أهل طيبة فى مصر وعاش بين ٣٩٠ و ٤٦٠ بعد الميلاد — معجما فى الاشتقاق ؛ وقد طبعه أحد العلماء فى ليبزج سنة ١٨٢٠ م[1] .

هذا بعض ما عُرِف من تاريخ تأليف المعجمات فى الأمم غير العربية .

أما العرب فلم يعرفوا المعاجم لأنهم كانوا أمة أُمِّيَّة ، ولم تكن حاجتهم داعية إلى تأليف معجم حتى جاء الإسلام فدعت الحاجة إلى أن يسألوا عن معانى الكلمات ذات الاصطلاح الجديد ، كما كانوا يسألون عن بعض الكلمات التى استغلق عليهم فهم معناها .

أسباب تأليف المعجمات

كان القصد من تأليف المعاجم وكتب اللغة حراسة القرآن من أن يقتحمه خطأ فى النطق أو الفهم ، وحراسة العربية من أن يتقحَّم حرمها دخيل لا ترضى عنه العربية ، وصيانة هذه الثروة من الضياع بموت العلماء ومن يحتج بلغتهم ، فكما أن كتابة المصحف كانت بسبب استحرار القتل فى الصحابة حَفَظَةِ القرآن ، والخشية من أن يضيع شىء منه ، فكذلك دوِّنت اللغة بوساطة المعجمات والكتب اللغوية خشية من أن يضيع بعض موادها ؛ أو يتدسس إليها غريب تنبو عنه أصولها وقواعدها .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية : الطبعة التاسعة بنيويورك ٧ : ١٧٩ ــ ١٩٣ . ودائرة المعارف البريطانية الطبعة الحادية عشرة طبعة نيويورك ٨ : ١٨٦ ــ ٢٠٠ ، ودائرة معارف هرنس ويرث Horns Worth's Universal Encyclopedia مادة Dictionary .
وقد ترجمت لنا السيدة فتية أمين كل ما اعتمدناه من «دوائر المعارف» هذه ونقلناه عنها وعن المصادر الإفرنجية الأخرى .

والسبب الأول الذى دعا العلماء إلى العناية باللغة فهم القرآن الكريم ، وفهم القرآن الكريم لا يتأتى إلا إذا عرفنا تفسير كلماته . وقد تضمن القرآن كثيراً من الغريب والنوادر ، وكثيراً من الألفاظ التى استغلقت معانيها على الفصحاء من العرب كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس ، حيث لم يقع لعمر معنى الأبِّ فى قول الله تعالى : ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ ، ولابن عباس معنى كلمة « فاطر » .

وكانوا يستعينون بالشعر وكلام العرب لبيان معانى القرآن ، وكانوا يحرصون على أن يستوعبوا من كلام العرب كثيراً حتى يستطيعوا بهذه المصادق أن يفسروا ألفاظ القرآن ، ومن ثَم يفهمون معانى آيات الله البينات . وكان أول اتجاه للعناية اللغوية هو رغبة دينية محض . ولهذا نُسِبَ إلى ابن عباس كتاب غريب القرآن[1] .

ولعل هذا السبب نفسه هو الذى حمل النحويين على أن يُعْنَوا بالنحو ليبعدوا عن اللسان الخطأ فى تلاوة القرآن الكريم ، فحرسوه بالقواعد النحوية ، ولهذا رأينا علماء النحو يضعون القواعد على أساس الشعر وكلام العرب لا على أساس القرآن .

ولقد أنكر علماء النحو بعض القراءات لأن مصادقها من كلام العرب لم تصل إليهم ، حتى أن بعضهم أخذ على « نافع » — وهو أحد القراء السبعة المشهورين — بعض ما ظنوه خطأ منه وأنكروا عليه .

---

(١) توجد منه نسخة فى برلين كما ذكر بروكلمان .

جاء فى البحر[1] :

« والمعايش : جمع معيشة . ويحتمل أن يكون وزنها مفعِلة ومفعُلة بكسر العين وضمها ؛ قالها سيبويه . وقال الفراء : معيشة بفتح عين الكلمة .

والمعيشة : ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها مما يتوصل به إلى ذلك ، وهى فى الأصل مصدر تنزل منزلة الآلات . وقيل : على حذف مضاف ، التقدير أسباب معايش كالزرع والحصد والتجارة وما يجرى مجرى ذلك . وسماها معايش لأنها وصلة إلى ما يعاش به . وقيل : المعائش وجوه المنافع ، وهى ما يحدثه الله ابتداء كالثمار ، أو ما يحدثه بطريق اكتساب من العبد ، وكلاهما يوجب الشكر .

وقرأ الجمهور معايش بالياء وهو القياس لأن الياء فى المفرد هى أصل لا زائدة فتهمز ، وإنما تهمز الزائدة نحو صحائف فى صحيفة .

وقرأ الأعرج وزيد بن على والأعمش وخارجة عن نافع وابن عامر فى رواية « معايش » بالهمز ، وليس بالقياس ، لكنهم رووه وهم ثقاتٌ ، فوجب قبوله . وشذ هذا الهمز كما شذ فى منائر جمع منارة وأصلها منورة ، وفى مصائب جمع مصيبة وأصلها مصوبة ، وكان القياس مناور ومصاوب . وقد قالوا مصاوب على الأصل ، كما قالوا فى جمع مقامة مقاوم ومعونة معاون .

وقال الزجاج : جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ ولا أعلم لها وجهاً إلا التشبيه بصحيفة وصحائف ، ولا ينبغى التعويل على هذه القراءة .

وقال المازنى : أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ، ولم يكن يدرى ما العربية . وكلام العرب التصحيحُ فى نحو هذا .

---

(١) البحر المحيط ٤ : ٢٧١ .

ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة . وقال الفراء : ربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها فعيلة ، فيشبهون مفعلة بفعيلة .

فهذا نقل من الفراء عن العرب أنهم ربما يهمزون هذا وشبهه . وجاء به نقل القراء الثقات : ابن عامر وهو من كبار قراء التابعين . وزيد بن على وهو من الفصاحة والعلم بمكان . ونافع وهو قد قرأ على سبعين من التابعين ، وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحل الذى لا يجهل ، فوجب قبول ما نقلوه إلينا . ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة فى مثل هذا .

وأما قول المازنى أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ، فليس بصحيح ، لأنها نقلت عن ابن عامر ، وعن الأعرج ، وزيد بن على ، والأعمش .

وأما قوله : إن نافعاً لم يكن يدرى ما العربية ؛ فشهادة على النفى ، ولو فرضنا أنه لا يدرى ما العربية وهى هذه الصناعة التى يتوصل بها التكلم بلسان العرب فهو لا يلزمه ذلك ، إذ هو فصيح متكلم بالعربية ، ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقُرّاء ولا يجوز لهم ذلك » .

وفى تهذيب التهذيب[1] فى ترجمة حمزة :

أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة الزيات القارئ الكوفى التيمى مولاهم . روى عن أبى إسحاق السبيعى وأبى إسحاق الشيبانى والأعمش وعدى بن ثابت وغيرهم ، وعنه ابن المبارك وعبد الله بن صالح العجلى وسليم بن عيسى .

---

(١) تهذيب التهذيب ٣ : ٢٧ ــ ٢٨ .

« كان يزيد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهية شديدة .

« وكان ابن مهدى يقول : لو كان لى سلطان على من يقرأ قراءة حمزة ، لأوجعت ظهره وبطنه . وكان أخى يكره أن يصلى خلف من يقرأ بقراءة حمزة . وقال أبو بكر ابن عياش : قراءة حمزة عندنا بدعة .

ويكفى حمزة شهادة الثورى له ، فإنه قال : ما قرأ حمزة حرفاً إلا بأثر » .

ولعل هذا هو أول عناية باللغة العربية دفعتهم إليها العناية بالقرآن ولو طبع كل ما كتب عن القرآن من مؤلفات لكانت لدينا مكتبة ضخمة تعد بالآلاف .

بل السُّنة نفسها فرع من القرآن ، جاءت له شارحاً ومفسراً ومفصلا ، فإذا أضيف ما ألف فيها وضم إلى مكتبة القرآن كانت لدينا مكتبة من أعظم المكتبات .

ولم تعن حكومة إسلامية منذ عرفت المكتبات حتى الآن بفكرة كهذه مما يدل على الإهمال ، فهل الحكومات الحاضرة تعنى بمكتبة القرآن والسنة فى هذه الأيام التى سهل فيها إنشاء المكتبات وطبع الكتب ؟

وعنى أئمة اللغة باللغة ، لا من حيث أنها لغة ، بل عنوا بها ليجعلوها وسيلة لفهم القرآن .

ومن الأسباب التى دعت إلى تأليف كتب اللغة والمعجمات كثرة الأمم ذات الألسنة غير العربية التى دخلت فى الإسلام واتخذت العربية لغتها

وخشى العلماء أن يدخل فى لغة القرآن ما ليس من كلام العرب ، فأقاموا من أنفسهم حُرَّاساً على العربية يحفظونها ويبعدون عنها الدخيل .

هذه من الأسباب التى حملت العلماء على العناية باللغة ، وعندما اتجهوا إلى التأليف اللغوى قصدوا إلى أخذ الصحيح وتحرِّيه وبالغوا فى الحيطة والحذر ، وقصدوا — أيضاً — إلى حشد كل ما وصل إلى علمهم من مفردات اللغة مما كان صحيحاً لا غبار عليه ، مع تسهيل الطريق لمن يحب أن يهتدى إلى الكلمة التى يريدها .

طليعة المعجم العربى

وطليعة المعجم العربى جاءت مع الإسلام ، وأول من حمل رايتها عبد الله بن عباس ، فقد كان يؤدى ما تؤديه المعجمات للسائلين .

سأله نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر مسائل كثيرة فى التفسير ، واشترطا عليه أن يؤيد كل كلمة بشاهد من كلام العرب ، فكان ابن عباس عند شرطهما[1] .

وصنيع ابن عباس صنيع معجمى ، فهو قد وقف على لغات العرب وأسرارها ودلالات مفرداتها ومعرفة غريبها ونوادرها ، وعلى أشْعَار العرب وخطبهم وأمثالهم ، وأعانه علمه الواسع بالعربية أن يفسر لسائليه كلمات اللغة تفسيراً لغوياً دقيقاً .

وكان بعض الصحابة يصنعون صنيع ابن عباس فى حدود ضيقة .

---

(١) الإتقان للسيوطى .

وينسب إلى ابن عباس كتاب « غريب القرآن » ومنه نسخة ببرلين قبل الحرب الثانية[١] ، وأظن أن الكتاب ليس لابن عباس ، فكتّاب ترجمته لم يشيروا إلى أن له كتاباً فى غريب القرآن ، إلا أن من الثابت أن ابن عباس كان أحد الراسخين فى العلم وكان مفسراً لغوياً عليما بأسرار اللغة واقفاً على مفرداتها ومعانى هذه المفردات ، فلعل هذا الكتاب مروى عنه من طريق من أخذوا العلم منه ، ودوّنه أحدهم ، ونُسِب إلى ابن عباس .

وفى التفسير الأكبر المنسوب لابن عباس — رواية ابن أبى طلحة وابن الكلبى — شرح لمفردات القرآن مع تفسير آياته البينات ، منه نسخة بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسينى بالمدينة المنورة ، وقد اطلعت عليها فألفيت صنيع ابن عباس فيه صنيعاً معجمياً .

ومما لا شك فيه أن ابن عباس وضع نواة « المعجم العربى » سواء أصح أن غريب القرآن والتفسير الأكبر من تأليفه أم من تأليف من رووا عنه أو أخذوا منه .

وهناك آخر يعد ممن اختطوا طريق التأليف اللغوى وكان من طلائع وضَعة المعجم العربى ، ولعله سار على نهج ابن عباس ، أو سار على نهجه حقاً ، ذلك هو أبان بن تغلب بن رباح الجريرى ؛ أبو سعيد البكرى ؛ مولى بنى جرير بن عباد ، وكنيته أبو أميمة ، وتوفى سنة ١٤١ هـ ، وكان قارئاً فقيهاً لغوياً إماماً ثقة عظيم المنزلة ، روى عن على بن على بن الحسين وأبى جعفر وأبى عبد الله عليهم السلام ، وسمع من العرب ، وألف « غريب القرآن » وذكر شواهده من الشعر[٢] .

---

(١) بروكلمان ١ : ٧٣١ .

(٢) ياقوت ١ : ١٠٨ ، البغية ١٧٦ — ١٧٧ ، كشف الظنون ٢ : ١٠٧ ، فهرس كتب الشيعة للطوسى ٦ : ٤ .

وإذا كان ابن عباس ثم أبان بن تغلب وضعا « نواة » المعجم العربى والتأليف اللغوى وكانا من الفاتحين الرواد ، فإنّ الخليل بن أحمد الفراهيدى يعد بحق أول من صنف « معجما » جديراً بهذا الاسم ، لأنه جمع ألفاظ اللغة وشرح معانيها ورتبها ترتيباً علمياً .

وإذا كان الخليل مسبوقاً من بعض الأمم فى هذا السبيل فإن من الحق أن نذكر أنه لم يكن مقلداً أحداً أو ناهجاً على طريق سابق ، بل كان مبتكراً ومخترعاً فى الفكرة والمنهج والترتيب ، ومعجمه معجم حق ، أما المعاجم التى عرفت فى اليونان والصين وعند الأشوريين فتعد معاجم خاصة لا عامة ، وما كان شبه عام لا يصل إلى مرتبة كتاب الخليل ، وفوق هذا لم يقصد أحد من مؤلفى تلك المعجمات — باستثناء الصين — إلى حصر اللغة وشرح كل ما استطاع من مفرداتها كما صنع الخليل .

العرب سبقوا إلى وضع المعاجم الكاملة

ولئن كان العرب مسبوقين فى هذا السبيل فإن من المقطوع به أنهم أول من وضعوا معجمات كاملة دقيقة مستوعبة ، وأول من وضعوا معجمات من أصحاب اللغات الحية ، وأول من اشتغلوا باللغة وعلومها وفنونها واستوعبوا كل ذلك أجمل استيعاب ، فألفوا معاجم أسماء الرجال والنساء وسموها كتب الطبقات ، وأفردوا لكل طائفة طبقة ، فهناك طبقة النحاة ، واللغويين ، وطبقة القراء ، وطبقة المحدثين ، وطبقة الأدباء ، والشعراء ، والكتّاب ، والعلماء ، والصوفية ، والخطاطين ، والحفاظ ، والبيانيين ، والصحابة ، والتابعين ، والمفسرين ، والفرضيين ، والأطباء ، والحكماء ، والأصوليين ، والفقهاء ، والأولياء ، والرواة ، والخواص ، والمتكلمين ، والمحدثين ، والنساك ،

والنسابين ، والفرسان ، والحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، والمالكية ، وغير ذلك مما يتصل بهذا اللون من المعاجم كالتى ألفت فى الكنى والألقاب ، كما ألفوا معاجم فى أسماء البلدان[1] ، والغريب فى القرآن والحديث ، والنوادر ، والفقه ، والحديث ، واللغات ، والمعرب ، والدخيل ، والهمز ، ولغات القبائل ، والحيوان ، والنبات ، والإنسان ، ولحن العامة ولحن الخاصة ، والاشتقاق ، وطبقات الخيل ، والفحول ، والمُداخَل ، والكتب ، ومعاجم اللغة .

واتسع نطاق التأليف اللغوى وتعددت أنواع المعجمات على مر الزمن ، وأصبح لكل فن معجم ، بل صار للفن الواحد معجمات ، وحمل الترف العلمى بعض العلماء إلى أن يبتكروا سبلا جديدة فألّفوا فى المُداخَل ، ومعجم بقية الأشياء ، والأضداد .

ولم تُجمَع اللغة العربية دفعة واحدة ، بل مرت بمراحل ، ولم يعرف العصر الجاهلى سبيل الجمع ، ولم يُعْنَ أحد من أهله بذلك ، بل كان جمع اللغة أو العناية بها وبمفرداتها بعد الإسلام ، ولم يكن المعجم أولَ ماعُرف من التأليف اللغوى ، بل سبقته محاولات كانت طبيعية لم تدع الحاجة إلى غيرها ، ومن هذه المراحل : ما صنعه كتاب الصحابة عند ما كانوا يتلقون من رسول الله صلى الله عليه وسلم تفسير ما استغلق عليهم معناه من

---

(١) أول من ألف فيها خلف الأحمر (مات فى حدود سنة ١٨٠ هـ) واسم كتابه « جبال العرب وما قيل فيها من الشعر » ثم عمر بن مطرف من بنى عبد القيس (توفى نحو نحو سنة ١٨٦ هـ) واسم كتابه « منازل العرب وحدودها وأين كانت محلة كل قوم وإلى أين انتقلوا منها » ولابن الكلبى (٢٠٤ هـ) بضعة كتب منها : الأنهار ، والأقاليم ، والبلدان الكبيرة ، وأنساب البلدان .

الكلمات الواردة فى القرآن أو فى أحاديثه ، مثل : المتفيهقين ، والسَّقَّارة ، والرويبضة ، وغيرهن من مئات الكلمات ، وكان الصحابة يحفظونها ، وبعضهم يكتبها ؛ ويرويها .

هذه هى المرحلة الأولى فى تدوين اللغة ، وهو لم يعدُ تفسير بعض ألفاظ القرآن والحديث مما لم يفهم الصحابة ، أو تفسير بعض كلام العرب .

ثم تأتى المرحلة الثانية ـ وهى فرع من المرحلة الأولى ـ ويمثلها عبد الله بن عباس أحسن تمثيل ، فقد كان يفسر للناس غريب القرآن والحديث ؛ ويشرح معانى المفردات مصحوبة بمصادقها من كلام العرب .

ثم توسع الناس فى جمع مفردات اللغة دون ترتيب ، بل يجمعونها كما يتفق لهم ويصادفهم .

ثم تقدم العلماء فى جمع الكلمات وتدوينها ، فكانوا يجمعون المفردات بحسب المعانى والموضوعات ، أو ينظرون إلى الألفاظ التى تتفق فى أكثر الحروف التى تتألف منها وتتقارب فى المعنى مثل : قط وقطع . أو مثل : قدَّ وقطَّ ، وقضم وخضم ، وينظرون إلى الكلمة التى تصلح لمعانى كثيرة مثل كلمة العين[1] .

ويدخل فى هذا الباب الكتب التى ألفت فى موضوع واحد مثل : كتاب النبات ، وكتاب الحشرات ، وكتاب الإبل ، وكتاب اللبن ، وكتاب النخيل ، وخلق الإنسان ، وأول من ألف فى الحشرات أبو خيرة الأعرابى الذى روى عنه أبو عمرو بن العلاء[2] ، وأول من ألف فى الخيل

---

(١) ضحى الإسلام لأحمد أمين .
(٢) توفى سنة ١٥٧ هـ .

وخلق الإنسان أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابى صاحب النوادر وأحد شيوخ الخليل بن أحمد[١] ، ولكل من أبى عمرو الشيبانى[٢] والأصمعى[٣] كتاب النحل والعسل ، ولابن الأعرابى[٤] كتاب الذباب ، ولأبى نصر أحمد بن حاتم[٥] كتاب الجراد ، وللنضر بن شميل[٦] كتاب خلق الفرس ، وما أكثر ما ألف فى هذا الباب .

كما يدخل فيه ما أُلِّف فى النوادر ، وأول ما أُلِّف فيها كتاب منسوب إلى أبى عمرو بن العلاء (١٥٧ هـ) ورواه أحد تلاميذه ، ومن أوائل من ألفوا فى النوادر : القاسم بن معن الكوفى (١٧٥ هـ) ويونس بن حبيب الضبى (١٨٣ هـ) وعمرو بن كركرة ، وأبو شبل العقيلى ، وأبو زيد الأنصارى (٢١٥ هـ) .

ثم بلغ التأليف اللغوى القمة عندما صنف العلماء المعجمات التى تشمل أكبر عدد من مفردات اللغة على ترتيب خاص مصحوبة بشرح المعنى ، يرجع إليها من أراد البحث عن معنى كلمة أو حقيقتها وأصلها .

ثم فتح باب التأليف اللغوى والمعجمى أمام العلماء وتطور مع الزمن وبلغ حد الإتقان .

---

(١) توفى سنة ١٥٥ هـ .
(٢) « « ٢٠٦ هـ .
(٣) « « ٢١٥ هـ .
(٤) هو أبو عبد الله بن زياد الكوفى توفى سنة ٢٣١ هـ .
(٥) توفى سنة ٢٣١ هـ .
(٦) « « ٢٠٤ هـ .

وسبق كل هؤلاء فيما يشبه التأليف المعجمى الرواة والنسابون ، ومن غير شك أن مَنْ وضعوا معاجم الطبقات هم خلفاء النسابين العرب الذين كانوا يحفظون طبقات الأنساب ولا يقتصرون بحفظهم على أنساب القبائل والرجال والنساء . بل يشمل طبقات الخيل والفحول والتمييز بين أقسامها ومزاياها ، وليس هذا إلا نوعا من المعجمات الشفوية سبق عليه العرب ولحق بهم أصحاب المعجمات الحديثة بنسبة ذلك الزمن .

وكان القرن الأول للهجرة بداءة التأليف اللغوى ، وفى القرن الثانى بدئ بتأليف المعجمات .

المعجم الكامل

والمعجمات العربية ـ وغير العربية ـ الخاصة بمتن اللغة ، والتى تسمى معجمات حقا ؛ يجب أن تستوعب كل كلمات اللغة التى يستطاع إلى جمعها واستيعابها سبيل ، بل يجب أن يضم المعجم كل كلمة من الكلمات البذيئة والسوادية والعامية حتى يكون معجما جامعا ؛ مع الإشارة إلى غير الفصيح ، وكان أسلافنا أكثر أمانة وفهما للمعجم إذ دوّنوا فيه ما نتحاشى نحن عن تدوينه ، فمعجم كتكملة الصغانى الذى استدرك فيه على الجوهرى ما أهمله ، استوعب فيه آلاف الكلمات المجفُوّة النابية ، ومن جملة ما استدرك ألفاظ بذيئة وأسماء أعضاء التناسل والعملية الجنسية وشواهد من الشعر على ذلك .

وكان أسلافنا ممن ألفوا المعجمات أو كتب اللغة أكثر أمانة منا للعلم ، فالمعجمات الحديثة تبتعد عن ذكر ما تظنه خدشا للحياء وباعثا على الخجل

إلا قليلا ، وهذا نقص فى معاجمنا الحديثة يجب أن نتداركه عندما نفكر فى تأليف معجم كبير[1] .

رائد المعجمات العربية

ورائد المعجمات الأولُ فى العربية : الخليل بن أحمد الفراهيدى الذى ابتكر التأليف المعجمى ، واخترع المنهج الذى اتبعه ، واخترع فى ترتيب مواده سبيلا بكرا هداه إليه اشتغاله بالموسيقى ، فكان السابقَ فى هذا المضمار دون منازع ، فهو أول من جمع اللغة فى معجم جدير بهذا الاسم .

وكان الخليل عبقريا بعيد الأفق ، عليما واسع العلم والثقافة ، وهو مبتكر علم العروض ، ومخترع علم النحو المعروف حتى اليوم ، ومخترع علم الموسيقى العربية . وجمع فيه أصناف النغم ، وهو أول من جمع اللغة ؛ وأول من ابتكر المعجم العربى ، وبعض العلوم الرياضية ، وما عُرِف فى عصره أذكى منه وأعلم وأعف وأزهد .

وأعانه فهمه للإيقاع والنغم على ابتكار طريقة جديدة فى « العين » ، وعلمُه بالموسيقى حمله على أن يختطَّ طريقه فى معجمه ناظرا إلى الأصوات اللغوية ومخارج الحروف ، فبدأ بحروف الحلق لأن الحلق أبعد مخارج الحروف ، وهكذا صنع سُلَّمَهُ اللغوى صاعدا فيه من أقصى الحلق حتى ينتهى إلى الشفة ، وجعل ترتيب معجمه على الحروف بحسب المخارج ، وقد كان موفقا فى منهجه ، فتمييز الحرف بالصوت أوضح من الكتابة .

---

(١) لعل المجمع اللغوى المصرى لا يغفل ذلك عندما يؤلف معجمه الكبير

كتاب العين :

منهج الخليل فى العين منهج هداه إليه اشتغاله بالموسيقى والأنغام ، وساعده كثيراً ذهنه الرياضى وعقله الكبير وعبقريته التى لم تشهد العربية لها مثيلا إلا ناردا ، ويكفى للدلالة على مواهبه الفذة أنه ابتكر قواعد علم لم يدعْ لمن بعده فيه مجالا ، بل ابتكره كاملا ؛ وذلك علم العروض ، واخترع علم النحو ، واخترع علم الموسيقى العربية ، فلا غرابة على هذا الذهن الجبار أن يكون أول مبتكر للمعجم العربى .

وهذا المنهج قائم على الصوت ، لأنه أوضح فى التميز والدلالة على مخرج الحرف من الكتابة ، فإذا كتبنا هذه الكلمة (بمر) دون نقط تعذر على القارئ أن يقرأه كما أراد الكاتب ، أما النطق فلا يخطئه ، وفى العربية خمسة حروف ذات صورة وَاحِدة إذا لم ننقطها ، فالباء والتاء والثاء والنون والياء فى أول الكلمة ووسطها ذات صورة واحدة .

ولعل إيثار الخليل هذا المنهج يعود إلى رغبته فى تميز الحرف بالصوت لأنه أقوى دلالة وأكثر وضوحا وتمييزا من الكتابة ، وهذا تفسير قريب من قريب ، فالموسيقى صوت ، والخليل مبتكر هذا العلم فى تاريخ العرب ، فإذا بنى معجمه عليه فلا غرابة ولا اتهام أنه اقتبس طريقة سُبِقَ إليها .

وصنع سلمه اللغوى ، واختار أن يصعد فيه من أسفله لا أن يهبط من أعلاه ، ورتب معجمه على الحروف بحسب مخارجها ، فبدأ بحروف الحلق ، لأنه أبعد مخارجها ، ويبدأ بالصعود تدريجا حتى تنتهى إلى الشفة وجعل ترتيب الحروف هكذا : ع ، ح ، ه ، غ ، خ ، ق ، ك ، ج ، ش ،

التى جاءت فى كتابه ، مثل : تفرده بذكر كلمات كثيرة لم يُسْمَع ببعضها .

وفى « العين » هنات أخرى ؛ منها : إهماله أبنية مستعملة ، وعدم استيفائه الصيغ الواردة فى كلام العرب ، ووجود أخطاء صرفية ، وتصحيف ، وتحريف .

وقد أشار ابن منظور فى مقدمة اللسان إلى ما يشبه طريقة الخليل فى معرض النقد فقال : « كأنَّ واضعه شرع للناس مورداً عذباً وحلأهم عنه ، وارتاد لهم مرتعاً مريعاً ومنعهم منه ، قد أخّر وقدّم ، وقصد أن يعرب فأعجم ، فرق الذهن بين الثنائى المضاعف والمقلوب وبدّد الفكرة باللفيف والمعتل ، والرباعىّ والخماسىّ ، فضاع المطلوب[1] » .

وعزا ابن منظور انصراف الناس عن التهذيب والمحكم وإهمالهم أمرهما وعدم الإقبال عليهما ، حتى كادت البلاد تخلو منهما ، إلى سوء الترتيب وتخليط التفصيل والتبويب .

الخليل مبتكر لا مقلد

زعم بعض الناس أن الخليل كان يعرف غير العربية ، كان يعرف اليونانية ، ولعلهم أرادوا من هذا الزعم أن يشيروا إلى أن معرفته باليونانية هدته إلى ابتكار منهجه فى العين ، واستدلوا بصلة حنين بن إسحاق المشهور فى الطب بالخليل ، فقد جاء فى عيون الأنباء[2] ترجمة حنين : « وكان شيخه فى العربية الخليل بن أحمد ، ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بغداد » وفيه أيضاً[3]:

---

(١) مقدمة لسان العرب .
(٢) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١ : ١٨٤ — ١٨٥ .
(٣) « « « « « ١ : ١٨٩ .

« أن حنين بن إسحاق كان يشتغل فى العربية مع سيبويه وغيره ممن كانوا يشتغلون على الخليل » وهذا يدل على أن حنيناً لزم الخليل وأخذ عنه العربية حتى برع فيها ، وأدخل كتاب العين بغداد ، وحنين كان يعرف اليونانية ، وترجم منها كتباً ورسائل كثيرة لجالينوس وأبقراط ، وترجم بعض قصص اليونان ، والخليل معروف بالذكاء العبقرى النادر ، ولا بد أن تثمر هذه الصلة بينهما أن يعرف الخليل اليونانية[1].

إلا أن هذا القول وهم ، فالخليل توفى سنة ١٧٥ هـ وولد حنين سنة ١٩٤ هـ أى بعد الخليل بأكثر من خمس عشرة سنة ، هذا على قول من قال : إن الخليل توفى سنة ١٧٥ هـ مع أن هناك من يقول : إنه توفى سنة ١٧٠ هـ .

وهذا لا يدع مجالا للشك فى أن الخليل لم يتصل بحنين ، وبانتفاء هذه الصلة ينتفى أخذ الخليل اليونانية منه .

ولم يرد هذا الزعم إلا عن ابن أبى أصيبعة عن سليمان بن حسّان .

وإذا افترضنا أن الخليل كان يعرف اليونانية فلا مجال لأن يزعم زاعم أن طريقته فى العين تشبه طريقة مؤلفى المعاجم اليونانية ، فلم يؤثر عن اليونان أن مؤلفاً صنف معجما جعل ترتيبه على الحروف بحسب مخارجها مبتدئاً من أقصى الحلق منتهياً بأحرف الشفة .

ونخلص من هذا إلى أن الخليل لم يقتبس منهجه من اليونان .

وهناك قول آخر : أن الخليل اتبع فى ترتيب معجمه طريقة الهند

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ١ : ١٩٨ .

فى ترتيب حروف هجائها[١] ، فاللغة السنسكريتية ترتب حروف هجائها على حسب مخارجها مبتدئة بأبعد الحروف مخرجاً ومنتهية بأحرف الشفة ، وهى آخر درجة فى السلم الصوتى للحروف .

وكانت الصلة بين الهند وجزيرة العرب قديمة ، وقويت بعد الإسلام كثيراً ؛ وكان فى الخليج الفارسى عدد كبير منهم ، وكان « المحاسبون » لتجار العراق فى البصرة وبغداد من السند ، وفيهم علماء ومثقفون ، وكانوا على صلة بأهل العلم من العرب .

ولعل هذا الرأى أقرب إلى التصديق من سابقه ، ولكننا لا نميل إليه ، فوجود طريقة لمؤلف فى لغة من اللغات لا يمنع أن يصل مؤلف آخر إليها باجتهاده وجهده ، ولا يكفى أن نقول : إن الخليل اتبع طريقة الهند فى الترتيب لمجرد وجود هذا الترتيب فى لغة لم يذكر أحد أن الخليل كان يعرفها ، وليس من السهل نقل ترتيب بحذافيره من لغة إلى لغة ، لاختلاف النطق بالحروف بين الأمم واللغات والأجناس ، بل إن ترتيب حروف الهجاء فى السنسكريتية ليس — هو — ترتيب الخليل عينه .

وفوق هذا لم يكن للهند فى ذلك الزمن معجم معروف[٢] .

وطريقة الخليل تتفق مع علمه الواسع الدقيق بالموسيقى ، فهى تقوم على أساس الصوت ، وعلى ما يشبه السلم الموسيقى ، فهو اعتمد على مخارج الحروف عند ما يُنطَق بها ، ونظر إلى الأوتار الصوتية والأصوات اللغوية ،

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية مادة خليل .

(٢) Al khalil & the Evalution of Arabic Lexicography تأليف الدكتور عبد الله درويش .

فصنع سلمه صاعداً عليه من أسفل حتى ينتهى إلى أعلاه ، مبتدئاً بأقصى الحلق ، متدرجاً فى الصعود حتى يصل إلى الشفة .

وإذا صح قول من قالوا : إن الخليل اتبع طريقة الهند فى ترتيب معجمه فإنهم ينسون أن الخليل كان مختاراً فيما يؤثره من الطرق المختلفة لترتيب الحروف الأبجدية ، فاختار ما وافق علمه الموسيقى ، ولم يجبره على ذلك سلطان نافذ حتى يبطل فضله فى الموازنة بين الطرق وإيثار ما هو أوفق منها لرأيه وأسبابه العلمية ، ويجب — بعد هذا — ألا ننسى الفارق الكبير بين القول بترتيب الحروف الأبجدية على طريقة الهند — إن صح — والقول باقتباس المعجمات منهم .

وفى وسعنا أن نقول : إن الخليل مبتكر فى معجمه المنهج والطريقة والترتيب حتى يثبت ثبوتاً علمياً أنه مقلد لا مبتكر ؛ ومتبع لا مخترع .

نسبة كتاب العين

اختلف العلماء فى حقيقة كتاب العين ، أهو للخليل أم لغيره ؟ وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ، فمنهم من أنكر النسبة ومنهم من أيّدها ، ومنهم من وقف موقفاً وسطا . والذين أنكروا النسبة كثير ؛ منهم : النضر ابن شميل ، وأبو حاتم ، والأزهرى ، وابن فارس ، وابن جنى ، والقالى ، وابن النديم ، وأبو الطيب اللغوى ، والفخر الرازى ، والنووى ، وأقوالهم متقاربة ذات دلالة واحدة لا تشير إلى غير الإنكار ، فابن النديم يقول : « لم يرو هذا الكتاب عن الخليل أحد ، ولا روى فى شىء من الأخبار أنه عمل هذا البتة[1] » .

---

(١) الفهرست ٤٦ طبعة مصر .

وقال أبو عبد الله فخر الدين الرازى محمد بن عمر بن الحسين بن على التيمى المعروف بابن الخطيب الرازى : « أصل الكتب المصنفة فى اللغة كتاب العين وقد أطبق الجمهور من رجال اللغة على الطعن فيه[١] » .

وقال أبو على القالى[٢] : « لما ورد كتاب العين من بلد خراسان فى زمن أبى حاتم ؛ أنكره أبو حاتم وأصحابه أشد الإنكار ، ودفعه بأبلغ الدفع ، وقد غبر أصحاب الخليل بعد مدة طويلة لا يعرفون هذا الكتاب ولا يسمعون به ، منهم : النضر بن شميل ، ومؤرج ، ونصر بن على ، وأبو الحسن الأخفش وأمثالهم . ولو أن الخليل ألف الكتاب لحمله هؤلاء عنه ، وكانوا أولى بذلك من مجهول الحال غير مشهور فى العلم تفرد به وتوحد بالنقل له ، ثم درج أصحاب الخليل فتوفى النضر بن شميل سنة ثلاث ومائتين ، والأخفش سنة خمس عشرة ومائتين ، ومؤرج سنة خمس وتسعين ومائة ، ومضت — بعدُ — مدةٌ طويلة ثم ظهر الكتاب بأَخَرَة فى زمان أبى حاتم وفى حال رياسته ، وذلك فيما قارب الخمسين والمائتين ، لأن أبا حاتم توفى سنة خمس وخمسين ومائتين ، فلم يلتفت أحد من العلماء إليه يومئذ ، ولا استجازوا رواية حرف منه ، ولو صح الكتاب عن الخليل لبدر الأصمعى واليزيدى وابن الأعرابى وأشباههم إلى تزيين كتبهم ، وتحلية علمهم بالحكاية عن الخليل والنقل لعلمه ، وكذلك من بعدهم كأبى حاتم وأبى عبيد ويعقوب وغيرهم من المصنفين ،

---

(١) المحصول فى علم الأصول ؛ مخطوطة الدار فى مجلدين مخطوطين رقم ١٣٠ .

(٢) نفى الدكتور عبد الله درويش فى كتابه (الخليل والمعاجم العربية) نسبة هذا الرأى إلى القالى ، لأن القالى نقل فى كتابه (البارع) عن كتاب العين للخليل صراحة ، ولأن القالى عند ما ذهب إلى الأندلس وألف كتابه (البارع) أخبر الخليفة حينذاك أن كتابه البارع يزيد على كتاب العين بخمسة آلاف كلمة .

فما علمنا أحداً منهم نقل فى كتابه عن الخليل من اللغة حرفا » .

والمعتدلون من المنكرين كالأزهرى وأبى الطيب اللغوى — الذى اختصر العين — وثعلب وإسحاق بن راهويه طعنوا فى العين تنزيهاً للخليل وربأً به من خطإ لا يجوز على تلامذته .

فالأزهرى يقول فى مقدمة التهذيب عن أقوام يصفهم بقوله : « تسموا بسمة المعرفة وعلم اللغة وألفوا كتباً أودعوها الصحيح والسقيم ، وحشوها بالمزال المفسد ، والمصحَّف المغير الذى لا يتميز ما يصح منه مما لا يصح ، إلا عند الثقات » وذكر من هؤلاء : « الليث بن المظفر الذى نحل الخليل ابن أحمد تأليف كتاب العين جملة لينفِّقه باسمه ، ويرغِّب فيه من حوله[1] » .

وعن ابن راهويه : « كان الليث صاحب الخليل بن أحمد رجلا صالحاً وكان الخليل عمل من كتاب العين باب العين وحده ، وأحبَّ الليث أن ينفِّق سوق الخليل فصنَّف باقى الكتاب وسمى نفسه الخليل ، وقال لى مرة أخرى : فسمى لسانه الخليل من حبه للخليل بن أحمد ، فهو إذا قال فى الكتاب : قال الخليل بن أحمد ، فهو الخليل ، وإذا قال : وقال الخليل مطلقاً فهو يحكى عن نفسه ، فكل ما فى الكتاب من خلل فإنه منه لا من الخليل[2] » .

وقال السيرافى : « عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذى به يتهيأ ضبط اللغة[3] » .

---

(١) مقدمة تهذيب اللغة للأزهرى مخطوطة مكتبة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة .
(٢) المزهر ١ : ٧٨ .
(٣) المزهر ١ : ٧٦ .

وقال ابن المعتز : « كان الخليل منقطعاً إلى الليث ، فلما صنف كتابه العين خصَّه به ، وحظى عنده جداً ، ووقع منه موقعاً عظيما ، ووهب له مائة ألف درهم ، وأقبل على حفظه وملازمته ، فحفظ منه النصف ، وكانت تحته ابنة عمه ، واتفق أنه اشترى جارية نفيسة فغارت ابنة عمه فأحرقت الكتاب ، فلما علم اشتد أسفه ، ولم تكن عنده نسخة منه ، وكان الخليل قد مات فأملى النصف من حفظه ، وجمع علماء عصره وأمرهم أن يكملوه على نمطه ، وقال لهم : مثِّلوا عليه واجتهدوا ، فعملوا هذا التصنيف الذى بأيدى الناس[1] » .

وقال ثعلب : « إنما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو كان هو حشاه ما بقي فيه شيء ، لأن الخليل رجل لم يُرَ مثله ، وقد حشا الكتاب أيضاً قوم علماء إلا أنه لم يؤخذ منهم رواية ، وإنما وجد بنقل الوراقين ، فاختلَّ الكتاب[2] » .

وقال أبو بكر محمد بن حسن الزبيدى اللغوى مؤلف مختصر العين فى أول كتابه : « ونحن نربأ بالخليل عن نسبة هذا الخلل إليه ، أو التعرض للمقاومة له والرد عليه ، بل نقول : إن الكتاب لا يصح له ، ولا يثبت عنه فقد كان جِلَّة البصريين الذين أخذوا عن أصحابه وحملوا علمه من رواته ينكرون هذا الكتاب ويدفعونه ، إذ لم يرد إلا عن رجل واحد غير معدود فى أصحابه ، وأكبر الظن فيه أن الخليل سبَّب أصله ، ورام تثقيف كلام

---

(١) معجم الأدباء ١٧ : ٤٦ .

(٢) المزهر ١ : ٧٨ .

العرب ، ثم هلك قبل كماله ، فتعاطى إتمامه من لا يقوم فى ذلك مقامه ، فكان ذلك الخلل الواقع به ، والخطأ الموجود فيه[١] » .

« ومن الدليل على ما ذكره أبو العباس[٢] من زيادات الناس فيه اختلاف نسخه ، واضطراب رواياته ، إلى ما وقع فيه من الحكايات عن المتأخرين ، والاستشهاد بالمرذول من أشعار المحدثين ؛ فهذا كتاب منذر ابن سعيد القاضى الذى كتبه بالقيروان ، وقابله بمصر بكتاب ابن ولاد ، وكتاب ابن ثابت المنتسخ بمكة قد طالعناها ، فألفينا فى كثير من أبوابهما : أخبرنا المسعرى عن أبى عبيد ، وفى بعضها : قال ابن الأعرابى ، وقال الأصمعى ، هل يجوز أن يكون الخليل يروى عن الأصمعى وابن الأعرابى وأبى عبيد فضلا عن المسعرى » .

« وكيف يروى الخليل عن أبى عبيد وقد توفى الخليل سنة سبعين ومائة ؛ وفى بعض الروايات سنة خمس وسبعين ومائة ، وأبو عبيد يومئذ ابن ست عشرة سنة ، وعلى الرواية الأخرى : ابن إحدى وعشرين سنة ، لأن مولد أبى عبيد سنة أربع وخمسين ومائة ، ووفاته سنة أربع وعشرين ومائتين ، ولا يجوز أن يُسْمَع عن المسعرى علمُ أبى عبيد إلا بعد موته ، وكذلك كان سماع الخشنى منه سنة سبع وأربعين ومائتين ، فكيف يسمع الموتى حال موتهم ؛ أو ينقلون عمَّنْ ولد بعدهم[٣] » .

ويقول الزبيدى أيضاً : « ومن الدليل على صحة ما ذكرناه أن جميع

---

(١) خطبة المختصر مخطوطة الدار رقم ٣٨٦ لغة .

(٢) يقصد ثعلباً فى قوله الذى مر الاستشهاد به .

(٣) المزهر ١ : ٨٣ — ٨٤ .

ما وقع فيه من معانى النحو إنما هو على مذهب الكوفيين ، وبخلاف مذهب البصريين ، فمن ذلك ما بدئ الكتاب به ، وبُنى عليه من ذكر مخارج الحروف فى تقديمها وتأخيرها ، وهو على خلاف ما ذكره سيبويه عن الخليل فى كتابه ، وسيبويه حامل علم الخليل ، وأوثق الناس فى الحكاية عنه ، ولم يكن ليختلف قوله ، ولا ليتناقض مذهبه ، ولسنا نريد تقديم حرف — خاصة — للوجه الذى اعتل به ، ولكن تقديم غير ذلك من الحروف وتأخيرها ، وكذلك ما مضى عليه الكتاب كله من إدخال الرباعى المضاعف فى باب الثلاثى المضاعف — وهو مذهب الكوفيين خاصة — وعلى ذلك استمر الكتاب من أوله إلى آخره .

ولو أن الكتاب للخليل لما أعجزه ولا أشكل عليه تثقيف الثنائى الخفيف من الصحيح والمعتل ، والثنائى المضاعف من المعتل ، والثلاثى المعتل بعلتين ، ولما جعل ذلك كله فى باب سماه اللفيف ، فأدخل بعضه فى بعض ، وخلط فيه خلطا لا ينفصل منه شىء عما هو بخلافه ، ولوَضع الثلاثى المعتل على أقسامه الثلاثة ليستبين معتل الياء من معتل الواو والهمزة ، ولما خلط الرباعى والخماسى من أولهما إلى آخرهما .

ونحن على قدرنا قد هذبنا جميع ذلك فى كتابنا المختصر منه ، وجعلنا لكل شىء منه باباً يحصره ، وعدداً يجمعه ، وكان الخليل أولى بذلك وأجدر ، ولم نحك فيه عن الخليل حرفاً ، ولا نسبنا ما وقع فى الكتاب عنه توخياً للحق ؛ وقصداً إلى الصدق ، وأنا ذاكر الآن من الخطإ الواقع فى كتاب العين ما لا يذهب على من شدا شيئاً من النحو ، أو طالع باباً من الاشتقاق والتصريف ، ليقوم لنا العُذْر فيما نزّهنا الخليل عنه » .

لقد أطلنا فى ذكر الشواهد ، ووقفنا طويلا عند أقوال الزبيدى لنخلص من كل ذلك إلى إعطاء صورة دقيقة صادقة لأدلة المنكرين الغلاة والمنكرين المعتدلين .

فابن النديم يذكر بوضوح أن العين ليس للخليل ، والقالى يذكر أن أبا حاتم وأصحابه أنكروا العين ولا يعرفونه ولم يسمعوا به .

فأول الأدلة على إنكار نسبة العين إلى الخليل : القول جملة بالإنكار ، إلا أن الزبيدى أضاف — كما ذكر غيره — أدلة جديدة ذات قيمة فى نظر النقد والعلم ، فالخليل بصرى ، وسيبويه — حامل علم — الخليل شيخ نحاة البصرة وإمام مدرسة البصريين ، وما فى العين مما يتصل بالنحو على مذهب الكوفيين ؛ فكيف يتفق للخليل — وهو شيخ إمام مدرسة البصرة — أن يترك مذهبه إلى مذهب آخر يختلف عنه .

إن هذا الدليل من أقوى الأدلة ، فإذا اعتمدنا عليه فى نفى نسبة العين إلى الخليل كان هو نفسه قائما فى نفى نسبة العين إلى الليث بن المظفر ، لأنه ظل للخليل وتابع له فى آرائه ومذهبه .

ثم من الأدلة : أن فى العين أوهاماً وسقطات شنيعة وغلطات معيبة لا تصدر من طلبة الخليل ، وهذا ما حمل العلماء على الشك فى نسبته إليه ، ومن الأدلة القوية : أن فى العين روايات عن متأخرين ولدوا بعد الخليل بكثير .

ثم من الأدلة : أن العين لم يظهر إلا بعد موت الخليل بحوالى ستين سنة ، فلو كان له لكان فى أيدى الناس ، ولعلم به العلماء ، ولَلَهج به

تلامذة الخليل ، ولروى عنه الأصمعى وابن السكيت وغيرهما ، أما وأن هذا لم يحدث ، فالعين ليس للخليل .

هذه أدلة المنكرين ، أما المعتدلون من المنكرين ، فيرون أن الخليل عمل من معجمه كتاب العين وسار على نهجه تلميذه الليث بن المظفر وأكمله ، ويرى بعضهم أن الخليل عمل نصف الكتاب فأكمل الليث نصفه الباقى ، وبعضهم يرى أن الخليل عمله كله ، وحفظ الليث نصفه ، فلما أحرقت النسخة أملى الليث نصفه المحفوظ ، وطلب إلى العلماء أن يكملوا النصف غير المحفوظ .

ونحن نسأل : إذا كان الليث صنف العين ، فلماذا لم ينسبه إلى نفسه رغبة فى الفخار والسمعة ؟ لماذا ينزل عنه للخليل ؟ ويجعل غيره مبتكر علم ومخترع فن ؛ ويرضى أن يكون تابعاً وتلميذا ؟

أما أن الكتاب لم يعلم عنه تلاميذ الخليل فينقضه أن للنضر بن شميل[1] كتاباً اسمه « المدخل إلى كتاب العين[2] » والنضر من أخلص طلبة الخليل ؛ فإذا صح أنه منكر العين ، فكيف يؤلف كتاباً حوله ، وللمفضل بن سلمة ردود على العين واستدراك ، وتوفى المفضل سنة ٢٥٠ هـ ، وكان المبرد يرفع من قدر كتاب العين ، ورواه ابن درستويه ، وألف كتاباً فى الرد على المفضل بن سلمة مؤلف كتاب « استدراك على العين » ولا توجد لأبى إسحاق

---

(١) توفى سنة ٢٠٣ هـ

(٢) البغية ٤٠٥ .

الزجاجى حكاية فى اللغة إلا منـه ، وأبو على القالى البغدادى أتى فى كتابه « البارع » بما فى العين وزاد عليه .

وإنـكار نسبة العين إلى الخليل ليس صحيحاً ، فهو له حقاً ، وإن كان الإجماع لم ينعقد على أنه له ، أما أدلة المنـكرين القائمة على أن فى العين من الخطأ والتصحيف ما لا يتفق مع علم الخليل ، وعلى أن فى كتابه روايات عن متأخرين عنه ، وعلى أن مذهب العين يخالف مذهب الخليل ، لأن ما يتصل بالنـحو على مذهب الـكوفيين ، والخليـل بصرى ورائد مدرسة البصرة فى النـحو ، وأن الـكتاب لم يظهر إلا فى سـنة ٢٥٠ أو حواليها ، فإن بعض هذه الأدلة منقوض ، فالخطأ والتصحيف والرواية عن المتأخرين من النسّاخ ، والذى يدل على أن الـكتاب ظهر قبل سنة ٢٥٠ هـ أن النضر بن شميل تلميذ الخليل ألف كتاباً سماه « المدخل إلى كتاب العين » .

ومن ناحية التعليقات لا أستبعد أنها دخلت فى صلب العين جهلا من الناسخين فحسبت منه وهى خارجة عنه ، وكذلك القول فى الرواية عن المتـأخرين .

ولعل اختلاف النسخ بعضها عن بعض يقيم الدليل على هذا .

أما ما روى من مسائل النحو على مذهب الـكوفيين فلعله راجع إلى ما كان من خصومة بين الـكوفيين والبصريين مما حمل بعض الـكوفيين على التغيير فى العين ليـكون حجة لهم على البصريين عندما يستدلون على تأييد آرائهم بقول رائد مدرسة البصرة الأول الخليل بن أحمد .

كل هذا جائز .

وموجز القول : أن العين للخليل ، وأنا مطمئن إلى ذلك كل الاطمئنان ، ويجوز أنه ألفه ولم يستطع إتمامه : فأتمه غيره ، ويجوز أن يكون أتمه كله فأضاف إليه الناسخون ما وجدوا من تعليقات وروايات عن متأخرين أدخلوها على متن الكتاب جهلا منهم ، وقد أثبت الدكتور عبد الله درويش — فى رسالته التى ألفها عن كتاب العين والتى قدمها لجامعة لندن ونال بها إجازة الدكتوراه — أن العين للخليل .

رُوّاد المعجمات العربية

ما كاد الخليل ينتهى من تأليف العين حتى اتبرى أئمة اللغة والمشتغلون بها من العلماء يؤلفون المعجمات الخاصة والعامة ؛ والمطولة والمختصرة ، ورأينا منذ عصر الخليل حتى أواخر المائة الرابعة للهجرة نشاطا فى ميدان التأليف اللغوى والتأليف المعجمى وضع قواعد المعجم العربى ومناهجه .

وبعض مؤلفى المعاجم سبقوا الجوهرى وبعضهم عاصره ، ولكن الصحاح تفرد بخصائص وسمات سنذكرها فى موضعها من هذه المقدمة ، كما أن لكل معجم خصائص وميزات تظهر شخصيته وشخصية مؤلِّفه ، وقد أشرنا إلى ذلك فى إيجاز عندما عقدنا موازنة بين الصحاح والمعجمات الأخرى التى سبقته وعاصرته .

وهؤلاء الأئمة الذين ألفوا معجمات — ويُعَدّون روّاد التأليف المعجمى — قليل عددهم ، وليس لكل منهم منهج خاص فى التصنيف والترتيب والنظام ، فبعضهم يصدر من نبع ، ويسير مع غيره فى طريق واحد كالأزهرى الذى نهج منهج الخليل واختار منهج كتاب العين .

وهؤلاء هم الروّاد ؛ ومنهم من صار إمام مدرسة ومنهم من كان تابعا ومريدا ، وفى الفصول الآتية ترجمة موجزة للروّاد جميعا .

١ — أبو عمرو الشيبانى

أبو عمرو ، واسمه إسحاق بن مِرار الشيبانى (٩٤ — ٢٠٦ هـ) وليس هو بشيبانى ؛ بل أدَّب أولاداً من بنى شيبان فنسب إليهم ، وهو

كوفى نزل بغداد ، وكان من أعظم الناس علما باللغة والشعر حتى عُرِف بين العلماء بصاحب ديوان اللغة والشعر ، وكان صدوقا فاضلا ، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وأبو عبيد القاسم بن سلام وغيرهما ، وله مؤلفات ؛ منها : « غريب الحديث » وكتاب « النوادر الكبير » و « النحلة » و « الإبل » و « خلق الإنسان » وكتاب « الجيم[1] » .

ولد أبو عمرو سنة ٩٤ هـ ، والخليل سنة ١٠٠ هـ وتوفى الخليل سنة ١٧٠ هـ أو نحو سنة ١٧٥ هـ وعُمِّر أبو عمرو طويلا فقيل : عاش مائة سنة وثمانى عشرة سنة ، وقيل غير ذلك .

وكتاب الجيم معجم لغوى مختصر ، جمع من اللغة كثيراً من مفرداتها ، فمن السابق ؟ أالخليل أم أبو عمرو ؟ .

إن هذين الإمامين كانا متعاصرين ، وأبو عمرو أكبر من الخليل سنا ، وشهرته فى اللغة واسعة ، وكان معروفا بأنه صاحب ديوان اللغة ، وقد أجمع العلماء على توثيقه ، وثبت أنه ألف كتاب الجيم ، وهو معجم عظيم ، فليس غريباً أن يجد الباحث مجالا للسؤال : من السابق منهما إلى ابتكار المعجم العربى ؟ .

إن من حق الباحث أن يُلقِى هذا السؤال .

أما أنا فأرى رأى الإجماع أن الخليل أسبق العلماء طرا إلى فكرة المعجم ، وأعتقد أنه أسبقهم إلى التأليف والتدوين ، ويحملنى على هذا الرأى أن الخليل

---

(١) يقوم المجمع اللغوى المصرى بنشر كتاب الجيم بتحقيق المستشرق الفرنسى كوتز .

صاحب عبقرية ملهمة ناضجة ، وذهن منبثق بالنور لم ينطفىء إلا بانطفاء شمعة حياته ، وقريحة فياضة ، وعقل جبار مبتكر ، وفكر رياضى مبتدع ، يبتدع علم « العروض » ابتداعاً كاملا لم يجعل لغيره فيه مجالا ، حتى قال حمزة الأصفهانى : « إن دولة الإسلام لم تخرج أبدع للعلوم التى لم يكن لها عند علماء العرب أصول من الخليل ، وليس على ذلك برهان أوضح من علم العروض الذى لا عن حكيم أخذه ، ولا على مثال تقدمه احتذاه ، وإنما اخترعه[1] » . وهو مخترع علم الموسيقى العربية ، وكان فى اللغة مبتكراً ، ابتكر علم النحو المعروف حتى اليوم ، وهو فى اللغة ومتونها إمام متفرد ، وهو فى الطبقة الأولى من من أئمة اللغة[2] ، فلا غرابة أن يبتكر — والابتكار من صفاته — لا غرابة أن يبتكر التأليف المعجمى و يسبق غيره كما سبق إلى العروض والنحو والموسيقى .

وأبو عمرو لم يكن مبتكرا ؛ وليس له ذهن رياضى مبتدع ، ومع تبحُّره فى اللغة والشعر لم يؤثر عنه اختراع فى علم أو فن .

وفى وسعنا أن نقول : إن المعجمين ألفا فى وقت واحد أو قريب ، فكما تعاصر الرجلان تعاصر المعجمان ، إلا أن أبا عمرو بخل بكتاب الجيم على الناس فلم يقرأه أحد عليه[3] ، وما نشك أن الخليل هو السابق حتى يأتى من يثبت لنا إثباتاً علمياً قاطعاً أن أبا عمرو أو غيره سبق الخليل إلى تأليف معجم .

---

(١) هامش إنباه الرواة ١ : ٣٤٢ .

(٢) مقدمة تهذيب اللغة للامام الأزهرى .

(٣) البغية ١٩٢ .

ولكتاب الجيم اسمان آخران ؛ هما : كتاب الحروف وكتاب اللغات[1] ، وأصل اسم كتاب الجيم : كتاب الحروف ، ولكنه لقبه بالجيم فعرف به واشتهر .

وليس كتاب الجيم ضخماً كبيراً ، بل هو أصغر من معجمات الفارابيّ والجوهريّ والأزهريّ وابن عباد وابن فارس ؛ أصغر منهن بكثير ، فهو لا يزيد على ٢٨٧ ورقة من حجم الوسط ، وهذا حال نسخة الأسكوريال .

وقسم أبو عمرو كتابه إلى عشرة أجزاء ، فرّق عليها المواد مرتبة على حروف الهجاء بالترتيب الحديث المعروف وهو : ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه ى . وحوى بعض الأجزاء بضعة حروف ، و بعضها حرفاً واحداً ، وذلك لغير سبب معروف .

فالجزء الأول يحوى : الألف والباء والتاء والثاء والجيم .

والثانى : يحوى حرف الحاء وحده .

والثالث : الخاء والدال والذال .

والرابع : الراء .

والخامس: الزاى والسين والشين .

والسادس: الصاد والضاد والطاء والظاء والعين .

والسابع : بقية العين وحرف الغين .

والثامن : الفاء والقاف .

والتاسع : الكاف واللام .

والعاشر : الميم والنون والواو والهاء والياء .

---

(١) إنباه الرواة ١ : ٢٢٤ و ٢٢٧ .

وسمى كل حرف باباً ، فقال : باب الألف وباب الباء وباب التاء وأخيراً باب الياء .

وافتتح كتابه بباب الألف ذاكرا فيه كل كلمة مبدوءة بالألف دون مراعاة الحرف الثانى والثالث ، بل يحشد فى باب الألف كل كلمة تبتدىء بها . وافتتح كتابه بكلمة الأوق ثم الألب ثم المأفول ثم الأفيق ثم الأَزُوح ثم المأموم — وهو البعير إذا عمِد وأكل الدبر سنامه — وأنهى باب الألف بكلمة « الإدة » .

ثم ينتقل إلى باب الباء ، ويذكر كل كلمة مبدوءة بالباء كما يتفق له دون أن يرتب المواد ترتيباً معجميا يراعى فيه الحرف الثانى والحرف الثالث ، ويفتتح باب الباء بكلمة : البُهْرة ثم البَرْكة ثم البسيل ثم البَدِغُ .

ثم ينتقل إلى باب التاء فالثاء حتى الياء ، حيث يختم به كتابه ، ويفتتح باب الياء بقوله : يَقَنَةُ ؛ فكلمة يَبَس ، ونص عبارته فيهما : « رجل يَقَنَة : لا يكذب بشىء ، وامرأة يَبَسٌ : التى لا تنيل أحدا » وختم باب الياء بقوله : اليمامة : القصد ، وهى آخر كلمة فى كتابه .

وطريقة تفسيره الكلمات هكذا :

المأموم : البعير إذا عَمِد وأكل الدبر سنامه .

والإدَة : زماع أمر القوم واجتماعه . قال :

وباتوا جميعا سالمين وأمرهم إلى[1] إدَة حتى إذا الناس أصبحوا

واليمامة : القصد . قال المرار :

إذا جفَّ ماء المزنِ عنها تَيَمَّمَتْ يمامتَها أىَّ العِداد تروم

---

(١) فى لسان العرب : على .

وأوجز أبو عمرو فى ذكر الشواهد ، كما أوجز فى ذكر المواد .

ويُعَدُّ أبو عمرو أول من رتب المعجم حسب أوائل الحروف ، ولكنه لم يلتزم الثانى والثالث .

ويُعِد المجمع اللغوى المصرى العدة لنشر كتاب الجيم بتحقيق المستشرق الفرنسى شارل كونس Charl Kuentz وإشراف الأستاذ إبراهيم مصطفى ، معتمدا على نسخة الأسكوريال ، ونسخة خطية حديثة منقولة من نسخة الأسكوريال لا يعرف كاتبها ، وكانت فى خزانة كتب فيشر .

٢ — القاسم بن سلام

أبو عبيد القاسم بن سلام ، كان أبوه عبداً روميا لرجل من هراة ، وكان أبو عبيد صالحا زاهدا كريما محسنا عفا ، يقضى ثلث ليله فى الصلاة ، وثلثا فى النوم ، وثلثا فى الكتابة ، وروى الناس من كتبه المصنفة نيفا وعشرين كتابا فى القرآن والفقه واللغة ، وقيل : لولا أن الله منَّ على الأمة بأبى عبيد ففَسَّر غريب القرآن لاقتحم الناس فى الخطأ ، ولد سنة سبع وخمسين ومائة ، وخرج أبو عبيد إلى مكة سنة تسع عشرة ومائتين ، ومات بها سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، وقيل : سنة أربع وعشرين ، وبلغ من العمر سبعا وستين سنة[1] ، وألف كتبا كثيرة ؛ منها : « غريب الحديث » و « أدب القاضى » و « المذكر والمؤنث » و « المقصور والممدود » و « الأموال » و « النسب » و « الأحداث » و « الغريب المصنف[2] » .

(١) نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ١٨٨ — ١٩٨ ، والأعلام ٢ : ٧٨٣ .

(٢) يقوم المستشرق الألمانى شبتلر Spitaler فى هذه الأيام بنشر الغريب المصنف .

والغريب المصنف من معاجم اللغة ، وقد قسمه على المعانى والموضوعات ، ويشتمل على أكثر من ثلاثين كتابا فى موضوعات مختلفة ، مثل : خلق الإنسان ، والنساء ، واللباس ، والطعام والشراب ، والسماء والأرض ، والرحل والخيل ، والسلاح ، وغيرها .

ويضم الغريب المصنف أكثر من سبعة عشر ألف مادة ، ولكنه ليس معجما كبيرا ، بل يعد مختصرا ، وقد اطلعت على مصوَّرة منه بالمجمع اللغوى المصرى أخذتْ من نسخة دار الكتب المصرية ، وهذه تحت رقم ١٢١ لغة .

ومراجعه فى مؤلَّفه : الكتب التى ألفت حول الموضوعات التى احتواها معجمه ، واعتمد على كتب الأصمعى وأبى زيد وأبى عبيدة والكسائى وغيرهم . ومن مراجعه : علماء وأعراب وفصحاء ذكر أسماءهم ، واتبع ابنُ سيده طريقة أبى عبيد فى كتابه المشهور « المخصص » وكان ابن سيده يحفظ « الغريب المصنف » كله[١] ، كما أن سليمان بن مطروح الحجارى — بالراء المهملة — يكاد يمليه من حفظه[٢] ، واختصره محمد بن رضوان ابن أرقم النميرى[٣] ومحمد بن على بن أبى بكر اللخمى[٤] ، ورد عليه أبو سعيد أحمد بن خالد الضرير البغدادى[٥] وعلى بن حمزة البصرى[٦] ،

---

(١) البغية ٣٢٧ .
(٢) البغية ٢٦٣ .
(٣) البغية ٤٢ .
(٤) البغية ٤٢ .
(٥) البغية ١٣٢ .
(٦) البغية ٣٢٧ .

وشرحه أحمد بن محمد بن أحمد المرسى[١] ، وشرح أبياته أبو محمد يوسف ابن الحسن بن السيرافى[٢] .

وقد سُبِقَ أبو عبيد إلى طريقته من غير العرب ، فقد سبقه يوليوس بولكس Julius Pollux وألف معجما رتبه على المعانى والموضوعات[٣].

٣ — ابن دريد

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى (٢٢٣ — ٣٢١ هـ) ولد بالبصرة ونشأ بها ، وتعلم فيها ، وأخذ العلم واللغة عن أئمة أعلام : كأبى حاتم والرياشى والأشنانداني ، وهو من أكابر علماء العربية ، وكان مقدماً فى اللغة وأنساب العرب وأشعارهم ، وكان أديباً شاعراً ؛ وله مؤلفات كثيرة ؛ منها : « الاشتقاق » و « كتاب الخيل الكبير » و « كتاب الخيل الصغير » و « الأنواء » و « الملاحن » و « أدب الكتاب » و « الجمهرة » و « كتاب المجتنى » و « كتاب المقتنى[٤] » .

والجمهرة أحد المعاجم العربية الكبيرة ، نهج فيه منهج الخليل ، مع أنه أراد أن يتخلص منه ، ولكنه اتبعه فى كثير ؛ وشذّ عنه فى الترتيب ، إذ رتّب كتابه على حروف المعجم ، وعُنِيَ كثيراً بترتيب الحروف جاعلا أساسه الأبنية ، وسار على طريقة الخليل ؛ مدخلا فيه بعض الزيادات ، وبدأ بالثنائى ثم الثلاثى ثم الرباعى ، ثم ملحق الرباعى ، ثم الخماسى

---

(١) البغية ١٧٥ .
(٢) البغية ٢٤١ .
(٣) دائرة المعارف البريطانية مادة Dictionary .
(٤) مقدمة شرح المقصورة الدريدية لابن هشام اللخمى (مخطوطتنا) .

والسداسى وما يلحق بهما ، وأفرد للنوادر باباً خاصاً بخلاف الخليل الذى وضعها مع المواد كلا فى بابه .

واتبع ابن دريد الخليل فى نظام قلب الكلمة ؛ وابتدع نظاماً فى ذكر المواد ، وهو أن يبدأ كل باب بالكلمة المبدوءة بالحرف الذى وقف عليه الباب آخذاً بالحرف الذى يليه تاركا ما سبقه ، فإذا كان فى باب الدال — مثلا — ترك ما قبلها من الحروف وهى : الدال مع الهمزة ، والدال مع الباء ، والدال مع التاء ، والدال مع الثاء ، والدال مع الجيم ، والدال مع الحاء ، والدال مع الخاء ، والدال مع الدال ، وبدأ بالحرف الذى يليه فيذكر الدال مع الذال ، فالدال مع الراء ، وهكذا حتى ينتهى ، ولا يذكر بعد ذلك الدال مع الحروف التى تسبقه فى الترتيب الهجائى لأنه ذكرها فيما سبق من المواد .

إن منهج ابن دريد منهج الخليل — كما ذكرنا — إلا فى بعض النقاط ، اتفق معه فى نظام الأبنية ، وما ينشأ عن الكلمة باتباع نظام القلب كما مثّلنا فيما كتبناه عن كتاب العين ، وخالفه فى البدء فى كل باب بالحرف الذى يعقده عليه تاركا ما قبله آخذاً بما بعده .

وبعض العلماء لا يوثّق ابن دريد كالإمام الأزهرى الذى يقول فى مقدمة تهذيبه : « وممن ألف فى عصرنا الكتب ووسم بافتعال العربية وتوليد الألفاظ التى ليس لها أصول ، وإدخال ما ليس فى كلام العرب فى كلامهم : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدى صاحب كتاب الجمهرة[1] » .

---

(١) تهذيب اللغة للأزهرى مخطوطة شيخ الإسلام بالمدينة المنورة .

ومع ما قيل فى ابن دريد فإنه أحد أئمة اللغة الذين خدموا العربية أجل الخدمات ، ومع ما قيل فى « الجمهرة » فإنه معجم عظيم ، ومن الإنصاف أن نبرىء ابن دريد مما اتهم به . فقد كان يتحرى فى الرواية ، ولا يذكر إلا ما يرضى عنه ، ولئن اشتمل كتابه بعد هذا على أوهام أو خلل أو خطأ فإن الكتب الكبيرة لا تخلو من المآخذ والعيوب ، وفى كلام الأزهرى تحامل على ابن دريد ، غفر الله لهما .

وقيل : إن ابن دريد أملى الجمهرة دون الاستعانة بالنظر فى شىء من الكتب إلا فى الهمزة واللفيف ، وإذا صح هذا فإن ابن دريد يتفرّد بين مؤلفى المعجمات بهذه الموهبة النادرة الفذة ، فإملاء عالم — مهما بلغ علمه — معجما من حفظه وعلمه وعقله دون الاستعانة بكتب حَدَث جدير بالإعجاب ؛ وعمل قمين بأن يُقْدَرَ صاحبه أعظم القدر ، وعمل كهذا معجز ؛ ولم نسمع عن مؤلف معجم صنع ما صنع ابن دريد .

وإذا جاء بعد هذا الجهد البالغ المثمر خطأ فى بعض صنيعه أو وهم أو خلل أو خلط فى ترتيب بعض الكلمات ووضعها فى غير تركيبها ، فإن إعجازه فيه خير شفيع له ، وأى معجم برئ من الخطأ والخلل ؟ .

٤ — الفارابى

أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى (... — ٣٥٠) خال الجوهرى ، من « فاراب » وانتقل إلى اليمن وأقام فى زبيد ، وفيها ألف كتابه « ديوان الأدب » وقد عرّفه بقوله : « ميزان اللغة ومعيار الكلام » .

وطريقة الفارابى فى معجمه أنه قسمه ستة أقسام سماها كتباً ؛ ورتبها هكذا : كتاب السالم ، وكتاب المضاعف ، وكتاب المثال ، وكتاب ذوات الثلاثة ، وكتاب ذوات الأربعة ، وكتاب الهمزة ، وجعل كل كتاب شطرين : الأول خاصاً بالأسماء ، والثانى بالأفعال ، وكل شطر منهما ينقسم إلى أبواب بحسب الأبنية ، وتنقسم الأبواب بحسب حروف الهجاء المعروفة ، ويسير على الترتيب المألوف ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز حتى الياء ، ولم يذكر الهمزة فى الترتيب لأنه أفرد لها باباً خاصاً بها . وكذلك أخرج أحرف العلة لأنه أفرد لهن باباً خاصاً فى كتاب المثال وكتاب ذوات الثلاثة وكتاب ذوات الأربعة .

ثم يسير فى ترتيب الأبواب والفصول على هذا النهج ، ففى باب الباء يذكر كل كلمة تنتهى بحرف الباء ، وفى باب الجيم تذكر كل كلمة تنتهى بحرف الجيم ، ويرتب الفصول على حروف الهجاء ، ويلتزم فى ترتيبه الكلمات — بعد ترتيبه فى الباب والفصل — الحرف الثانى والثالث والرابع من أحرف وسط الكلمة .

وهذه هى نقطة الالتقاء بين الفارابى والجوهرى ، وقد حمل ذلك باحثاً — هو الدكتور كرنكو — أنْ يدعى أن الجوهرى سرق فى صحاحه مواد كتاب الفارابى[1] .

ولقد أسرف الأستاذ كرنكو فى دعواه ، ولا سند له ، فديوان الأدب للفارابى وصحاح الجوهرى موجودان ، ومنهما نسخ كثيرة صحيحة ، والفارق

(١) كرنكو Krenkow الملحق المثوى لمجلة الجمعية الأسيوية الملكية سنة ١٩٢٤ وعنوان موضوعه : « بواكير المعاجم العربية حتى عصر الجوهرى » .

بين المعجمين كبير ، وبعد كل هذا نجد عمل الجوهرى أصح وأكمل وأعظم من عمل خاله الفارابى .

ونحن لا نشك أن الفارابى يعد واضع بعض أساس منهج الصحاح ؛ وفوق هـذا أربى الجوهرى على خاله وأتى بنظام دقيق بذَّه فيه ، وكان نظامه آية بينة .

ولعل مما أثار وهم كرنكو حتى زعم ما زعم أن ياقوت يقول : « رأيت نسخة من كتاب ديوان الأدب بخط الجوهرى ، وقد ذكر فيها أنه قرأها على أبى إبراهيم بفاراب[1] » ولا يبعد أن يكون الجوهرى اطلع على كتاب خاله ، ولـكن عبارة ياقوت غير دقيقة ، وينفيها أن الفارابى ألف كتابه فى زبيد وتوفى بها ، وهذا يمنع الجوهرى من القراءة على خاله ، ولا يمنعه من الاطلاع عليه واستنساخه .

وإذا قلنا : إنه اطلع على « ديوان الأدب » وقرأه على مؤلفه ، فإن ذلك لا يوجب اتهام الجوهرى بسرقة كتاب خاله ، فالفارق بينهما كبير فى المنهج والترتيب والنظام وعدد المواد .

والتقاء الفارابى والجوهرى فى نقطة أو نقاط ليس دليلا على أن الثانى سطا على الأول ، وإلا لعُدَّ الإمام الأزهرى سارقا كتاب العين للخليل ، وعُدَّ كل تابع لمدرسة معجمية سارقا من الرائد ، ولـكن أحداً لا يستطيع — فى مثل هذه الأحوال — أن يتهم عالما إماما بالسرقة إذا اتفق مع غيره فى المنهج وأكثر المواد .

---

(١) البغية ١٩١ .

وقد تناول أبو سعيد محمد بن جعفر بن محمد الغورى ، أحد أئمة اللغة ديوان الأدب للفـــارابى ، وزاد عليه فى أبوابه وجعله فى عشرة مجلدات ، وهذبه ووسع فيه وأضاف إليه كثيرا من المواد[١] . وهذبه الحسن بن المظفر النيسابورى وسماه : « تهذيب ديوان الأدب[٢] » .

٥ — الأزهرى

أبو منصور محمد بن أحمد بن أزهر الهروى اللغوى الشهير (٢٨٢ — ٣٧٠ هـ) وليس الأزهرى نسبة إلى الجامع الأزهر بل نسبة إلى أزهر أحد أجداده ، والأزهرى إمام عظيم من أئمة اللغة المصطَفين ، وحجة من حججها ، ولم تـكن اللغة كلَّ علمه ، بل اشتهر بها لأنها غلبت على علومه الأخرى كالفقه والحديث والتفسير .

ومعجمه « تهذيب اللغة » يمتاز بالدقة والتحرى فى الأخذ ، وفيه الصحيح من كلام العرب ، وبه غير الصحيح — وهو جد قليل — وقد أشار هو نفسه إلى ما شك فيه أو أخذه ممن لا يوثق به ، والتهذيب مرتب على مخارج الحروف مثل العين للخليل بن أحمد ، واتبع نظامه فى قلب الـكلمة .

وجعل الأزهرى الهمزة حرف علة ، وكان حقها أن تذكر بعد العين ، وإن كان الصرفيون يحسبونها أول حروف الحلق ، وسمَّى كل حرف باباً ، وكل بناء كتاباً ، فهو يقول فى آخر المجلد الأول من معجمه : « كتاب

---

(١) البغية ٢٨ و ٢٩ .

(٢) البغية ٢٣٠ .

الثلاثى المضاعف من حروف العين » ثم عنوان صغير هو : « باب الغين والقاف » وجعل الأبنية ستة : كتاب الثنائى المضاعف ، وكتاب الثلاثى الصحيح ، وكتاب الثلاثى المهموز ، وكتاب الثلاثى المعتل ، وكتاب الرباعى ، وكتاب الخماسى .

وهو إذ يذكر الكلمة يردفها بما ينشأ عنها من أنواع القلب كما صنع الخليل ، وينبه إلى المهمل ، كما ينبه إلى الكلمات التى أهمل ذكرها بعض العلماء ، فهو يقول فى أبواب الهاء والشين : « هبش ؛ أهمله الليث ، وروى أبو العباس عن ابن الأعرابى أنه قال : الهبش : ضرب التلف . وقد هبشه ، إذا أوجعه ضرباً . وقال اللحيانى : هو يهبش لعياله ويهتبش ويحرف ويحترف ويخرش ويخترش ، معناها : يكسب ويطالب ويحتال . وقال الأصمعى : والهباشة والحباشة : الجماعة من الناس . وقال الرؤاسىّ : إن المجلس ليجمع هباشات وحباشات ، أى ناساً ليسوا من قبيلة واحدة ، وقد تهبشوا أو تحبشوا ؛ إذا اجتمعوا . ومنه قول رؤبة :

لولا هباشات من التهبيش لصبية كأفرخ العُشوش[1] »

ومن هذا الشاهد نستدل على حرص الأزهرىّ على إسناد كل قول إلى من صدر عنه أو رواه .

ولقد أشار الأزهرىّ إلى طبيعة عمله وبعض منهجه فى مقدمة كتابه ، فقال ما نقتطف منه ما يختص بمنهجه ، قال : « سميت كتابى تهذيب اللغة ، لأنى قصدت بما جمعت فيه نفى ما أدخل فى لغة العرب من الألفاظ

---

(١) نسخة مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله بالمدينة المنورة .

التى أزالها الأغبياء عن صيغها ، وغيَّرها الفُتْم عن سننها ، فهذبت ما جمعت فى كتابى من التصحيف والخطإ بقـــدر علمى ، ولم أحرص على تطويل الـكتاب بالحشو الذى لم أعرف أصله ، والغريب الذى لم يسنده الثقات إلى العرب » .

وقال : « ولو أننى أودعت كتابى هذا ما حوتْه دفاترى ، وقرأته من كتب غيرى ، ووجدته فى الصحف التى كتبها الورّاقون ، وأفسدها المصحِّفون ؛ لطال كتابى ، ثم كنت أحد الجانين على لغـة العرب ولسانها ، ولقليلٌ لا يُخْزِى صاحبه خير من كثير يفضحه ، ولم أودع كتابى هذا إلا ما صحَّ لى سماعا منهم ، أو رواية عن ثقة ، أو حكاية عن خط ذى معرفة ثاقبة اقترنت إليها معرفتى » .

ويكرر ما يشبه هذا فى آخر كتابه بقوله : « وقد حرصت ألا أودعه من كلام العرب إلا ما صحَّ لى سماعاً من أعرابى فصيح ، أو محفوظ لإمام ثقة ، حسن الضبط ، مأمون على ما أدَّى ، أما ما يقع فى تضاعيف الـكتاب لأبى بكر محمد بن دريد الشاعر ؛ والليث ؛ ممـا لم أحفظه لغيرهما فإنى قد ذكرت فى أول الـكتاب أنى واقف على حروف كثيرة لهما ، وأنه يجب على الناظر فيها أن يفحص عنها ، فإن وجدها محفوظة لإمام من أئمة اللغة ، أو فى شعر جاهلى ؛ علم أنها صحيحة ، وإذا لم تصحَّ له من هذه الجهة توقف عن تصحيحها » .

وعُنِىَ الأزهرى بالبلدان والمواضع والأمكنة والمياه عناية كبيرة جعلت كتابه من أصح المصادر فى هذا السبيل ، فقد وقف هو نفسه على كثير منها أو جلها ، ولو جُرِّدتْ فى كتاب على حدة لـكان من خير كتب البلدان .

ومن أجل ما فى التهذيب أن يقول الأزهرى : « سمعت العرب يقولون » .

ومن هذا الكتاب فى مكتبات العالم ثمانى عشرة نسخة ، كما وصل إلى علمى : نسخة بالمكتبة الأحمدية بحلب ، وثانية بمكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله الحسينى بالمدينة المنورة ، وثلاث بدار الكتب المصرية ، واثنتا عشرة نسخة بتركيا ، ونسخة بالمتحف البريطانى ؛ إلا أن نسخة المدينة تفضلها ، فهى أقدمها ، ولعلها خيرها فى جمال الخط والضبط والسلامة من التحريف والتصحيف والخرم ، ونسخ دار الكتب نواقص ، وكلهن لا يكملن نسخة واحدة ، ونسخة الأحمدية لا بأس بها ، وأربع نسخ من الاثنتى عشرة نسخة التى بتركيا يوثق بها ؛ وما عدا الأربعة سقيم . أما نسخة المدينة فممتازة وصحيحة وهى بخط ياقوت[1] كتبها سنة ٦١٦ هـ وما عداها كتب فى القرنين : الثانى عشر والثالث عشر للهجرة ؛ إلا نسخ دار الكتب ، فتاريخهن قبل ذلك ، ولكنهن نواقص .

٦ — ابن عباد

الصاحب إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم (٣٢٦ — ٣٨٥ هـ) وزير غلب عليه الأدب والعلم ، وكان كريماً سمحاً جيد الرأى ، محباً للعلم وأهله ، استوزره مؤيد الدولة بن بويه الديلمىّ ثم أخوه فخر الدولة ، ولقب بالصاحب

---

(١) أشك أن النسخة من خط ياقوت .

لصحبته مؤيد الدولة منذ صباه فسماه الصاحب فاستمر عليه واشتهر به ، وكانت خزانة كتبه حمل أربعمائة جمل . وتوفى بالرَّىِّ ونقل إلى أصبهان ، وألف كتباً جليلة ؛ منها : « الوزراء » و « الكشف عن مساوئ المتنبى » و « العَروض » و « الوقف والابتداء » و « جوهرة الجمهرة » و « المحيط » وهو معجم لغوىّ كبير ، ينهج فيه نهج الخليل فى العين والأزهرى فى التهذيب ، اتبع الخليل فى ترتيب الحروف بحسب المخارج ونظام القلب ، واتبع الأزهرىّ فى تقسيم الأبواب ، إلا أنه لم يتقيد بمنهجيهما كل التقييد ، بل كان ينطلق ويخالف متبوعيه مخالفة واضحة ، وأول أوجه المخالفة : أنه أغفل الشواهد والمراجع ، وأهمل ذكر أسماء من نقل عنهم الغريب والنوادر واللغة ؛ سواء أكانوا آدميين أم كتباً إلا نادراً .

وتفرد الصاحب عن كل مؤلفى المعجمات التى سبقته أو عاصرته فى المجاز وفى إغفال الشواهد ، وامتاز محيطه بالسعة والحفول بالمواد ، فقد استبدل بما أغفل من شواهد ، موادَّ كثيرة فكان محيطه — من ناحية الكم — أوسع معجم معروف حتى عصره . ووصفه القِفطى بقوله : كثَّر فيه الألفاظ ، وقلل الشواهد ، فاشتمل من اللغة على جزء متوفر[1] » .

---

(١) إنباه الرواة ١ : ٢٠١ وبدأت وزارة الثقافة والفنون بالعراق في طبع « المحيط » وصدر منه جزآن بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين. (وكتبت هذه التعليقة عن « المحيط » بمكة المكرمة حرسها الله بعد صلاة الجمعة يوم الثامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩ هـ ٤/ ٥/ ١٩٧٩ م).

٧ — ابن فارس

أبو الحسين أحمد بن زكريا بن فارس (... — ٣٩٥هـ) من أعيان العلم وأفذاذ الدهر ، وكان أديبا شاعرا ، وأحد أئمة اللغة المبرِّزين ، والتزم الصحيح فى مقاييسه ومجمله ، واتبع فى تأليف « مقاييس اللغة » منهجا لم يسبق إليه ، كما يقول محقق[1] المقاييس : إذ يرد كل مادة من مواد اللغة إلى أصولها المعنوية المشتركة ، فلا يكاد يخطئه التوفيق ، وقد انفرد بين اللغويين بهذا التأليف ، لم يسبقه أحد ، ولم يخلفه أحد » .

ويقصد ابن فارس من « المقاييس » مايقصده اللغويون من « الاشتقاق الكبير » الذى يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات .

وسار ابن فارس فى مقاييسه على نهج خاص ، فهو لم يرتب مواده كالعين بحسب مخارج الحروف ، ونظام القلب ، ولم يتبع طريقة ابن دريد فى الجمهرة حيث التزم فى ترتيبه أوائل الحروف ، وذكر الكلمة وما ينشأ عنها من مفردات بعد قلب الكلمة التى تجىء فى الباب ، ولم ينهج منهج الصحاح بل سلك طريقا خاصا به ، فهو قد قسم مواد اللغة إلى كتب تبدأ بكتاب الهمزة ، وتنتهى بكتاب الياء ، وقسم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة : باب الثنائى المضاعف والمطابق[2] ، وأبواب الثلاثى الأصول من المواد ، وباب ما جاء على أكثر من ثلاثة أحرف أصلية ، والتزم فى كل قسم من القسمين الأولين

---

(١) هو العلامة الجليل الأستاذ عبد السلام محمد هارون ، وقد طبع فى ستة أجزاء .

(٢) يريد بالمطابق : الرباعى المضاعف .

ترتيباً خاصا سبقه إليه ابن دريد ، وهو أن يبدأ كل باب بالكلمة المبدوءة بالحرف الذى يقف عليه الباب ، آخذاً بما يليه من الحروف حسب التهجى المعروف ، ويخالف ابنُ فارس ابنَ دريد فى أن الأول يؤجل ذكر الكلمات التى تبدأ بحرف الباب إذا سبقته ، حتى إذا انتهى من ذكرها ذكر ما أجَّل بخلاف ابن دريد الذى يغفل ذكرها لأنه ذكرها فى الموادالسابقة ، فلا ضرورة — عنده — لإعادتها .

ففى باب الثاء ؛ المثلثة — مثلا — يترك ابن فارس الابتداء بالثاء والهمزة ؛ فالثاء والباء ؛ فالثاء والتاء ؛ فالثاء والثاء ؛ ويبدأ بالجيم وما يَثْلِثها لأنه الحرف الذى يلى الثاء ، حتى إذا انتهى من الحروف كلها عاد إلى الأبواب المتروكة ، وهى أبواب الثاء مع الهمزة فالباء فالتاء فالثاء ، وذكرها ، أما طريقة ابن دريد فهى هذه ، إلا أنه لا يعود إلى المتروك ، لأنه مذكور فيما مضى من المواد .

٨ — البرمكى

أبو المعالى محمد بن تميم البرمكى اللغوىّ ، لم يؤلف معجما ، ولكنا عددناه ضمن الرُّوّاد ، لأنه ابتكر المنهج المعجمى الحديث ، ألا وهو الترتيب بأوائل الحروف حسب التهجى المعروف ، ابتكر منهجاً عُدَّ غريباً ، وطبقه على كتاب لمؤلِّف سواه ، فقد تناول الصحاح ورتبه على حروف الألفباء وزاد فيه أشياء قليلة .

ويُعَدُّ البرمكى أول من ابتدع هذا النظام ، وقد اتبعه فيه الزمخشرى فى أساس البلاغة ، فظنه العلماء مبتكر هذا الترتيب ، وقد سبقهما أبو عمرو

الشيبانى إلا أنه لم يلتزم غير الحرف الأول ، أما البرمكى فكان يلتزم الثانى والثالث والرابع[١] .

وقد رأيت جزءاً منه فى مائة ورقة بالمكتبة الخاصة بإبراهيم حمدى الخربوطلى أمين مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة الله بالمدينة المنورة — وقد توفى رحمه الله وغفر له — فألفيته مرتبا مثل ترتيب المعجمات الحديثة ، ومنه قطعة فى ست ورقات بمكتبة كوپريللى[٢] رقم ٢/١٥٢١ .

٩ — أبو على القالى

إسماعيل بن القاسم بن هارون أبو على القالى البغدادى (٢٨٨ — ٣٥٦ هـ) ولد بمنازكرد[٣] من إرمينية ودخل بغداد لطلب العلم سنة ٣٠٥ هـ وأقام فيها إلى سنة ٣٢٨ هـ ، ثم رحل عنها ودخل الأندلس سنة ثلاثين وثلثمائة ، وقيل له : القالى ، لأنه انحدر إلى بغداد مع رفقة من قاليقلا ، وتوفى بقرطبة ودفن بها سنة ٣٥٦ هـ

وأخذ القالى علومه من كثير من أئمة اللغة والنحو كابن دريد وابن القاسم الأنبارى ونفطويه والزجاج والأخفش وابن درستويه .

وله مؤلفات ؛ منها : الأمالى ، والمقصور والممدود ، وفعلت وأفعلت ، والبارع .

والبارع : معجم ابتدأ فيه منذ سنة ٣٣٩ هـ ، وعاونه فيه ورّاق اسمه محمد بن

---

(١) راجع فى المدارس المعجمية ماكتبناه عن البرمكى .
(٢) فهرس المخطوطات المصورة ١ : ٣٧٥ .
(٣) منازكرد فى معجم البلدان لياقوت ٨ : ١٦٤ « منازجرد » ، وأهله يقولون منازكرد : بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم . وخلاط : عاصمة إرمينية :

الحسين الفهدى من أهل قرطبة منذ عام ٣٥٠هـ ، وأخذ يجمع مواده حتى عاجلته المنية سنة ٣٥٦هـ ، فتولى تهذيبه ورّاقه مع محمد بن مَعْمر الجيانى ، وكان قد أتمه ولـكن لم يستطع أن يكمل تبييضه ونقله ، بل نقل كتاب الهمزة وكتاب الهاء وكتاب العين .

وقد بنى القالى معجمه على حروف المعجم ، وجمع فيه كتب اللغة ، وعزا كل كلمة من الغريب إلى من نقلها عنه من العلماء ، واختصر الإسناد عنهم ، وهو يشتمل على ٥٠٠٠ ورقة .

واتبع طريقة الخليـل ومنهجه ، فبنى معجمه على مخارج الحروف ، ولـكنه لم يَسِرْ على ترتيب الخليل ، ويلتزمه بحذافيره ، فبـدأ بالهمزة ثم الهاء ثم العين ، والخلاف يسيرٌ فى الترتيب ، وخالف الخليلَ فى الأبنية وترتيبها ، فهى عند القالى ستة : أبواب الثنائى المضاعف ، ويسميه : الثنائى فى الخط ، والثلاثى فى الحقيقة ، وأبواب الثـلاثى الصحيح ، وأبواب الثلاثى المعتل ، وأبواب الحواشى ، وأبواب الرباعى ، وأبواب الخماسى .

واتبع القالى الخليلَ فى ذكر الـكلمة ومقلوبها .

ولا يعد القالى مبتكراً بل سار على منهج الخليل ، ومنهج المشارقة فى التأليف المعجمى ، والبارع أول معجم يؤلف فى الأندلس .

ولم تظهر من البارع نسخة كاملة حتى الآن ، بل كل ما ظهر منهـا قطعتان : إحداهما فى المتحف البريطانى تحت رقم Or ٩٨١١ ، والثانية فى المـكتبة الأهلية بباريس برقم ٤٢٣٥ . وقد صورهما الدكتور فلتون أمين المـكتبة الشرقية بالمتحف البريطانى وجعلهما فى كتاب .

المدارس المعجمية

إن مؤلِّفي المعجمات الاوَل هم رواد التأليف المعجمى فى العربية ، ومعاجمهم الطلائع الأولى ، وهى التى وضعت كل قواعد المعجم العربى ، ومعاجم هؤلاء الرواد لم تُبْقِ لمن بعدهم جديدا فى ترتيب المواد ، إلا فى حالات لا تعد جدتها ابتكارا ؛ وإن كان فيها تيسير على الشُّداة ، مثل معجم الشيخ محمد النجارى المصرى المتوفى سنة ١٣٣٢ هـ ، الذى جمع فيه اللسان والقاموس ورتب موادهما ترتيبا اتبع فيه طريقة البرمكىّ ، وهى ترتيب المواد على أوائل الحروف — كترتيب معاجمنا الحديثة — وخالفه أنه لم يراع الاشتقاق والتجريد ، فهو يذكر الكلمة فى بابها بالحرف الأول ، الذى يُنْطَق به ، غير ناظر إلى أصالة الحرف الذى تبدأ به الكلمة ، فهو يذكر كلمة كتب فى حرف الكاف ؛ ويذكر كلمة « مكتب » فى حرف الميم ، مع أن المعجميين يذكرون كلمة « مكتب » فى مادة كتب ، وهذه الطريقة سبق إليها فلوجل الألمانى .

وروّاد التأليف المعجمى فى العربية ، وضعوا كل قواعد المعجم ، ومن جاء بعدهم حتى هذا العصر لم يُضيفوا جديداً إلى نظام السلف ، ولم يبتكروا ترتيباً طريفاً ، بل سبقهم أولئك الرواد ومشى الخَلَف على نهجهم بعد أن اختاروا طريقة أحدهم ، وأغفلوا ما عداها ، لأنها أقرب تناولا ، وأكثر تيسيراً وأبعد ، عن المشقة ؛ وتركوا غيرها لوعورة الطريق إليها .

ويلتقى هؤلاء الرواد فى كثير من النقاط ، ويتفق بعضهم فى المنهج ، ولكنَّ لكل منهم سماتِه وخصائصَه ، وفى وسعنا أن نحصر معجمات هؤلاء

الرواد — من الخليل حتى البرمكى — فى أربع مدارس ، كلها وجـدت خلال ثلاثة قرون ؛ ابتداء من أواخر القرن الثانى للهجرة ، حتى أواخر القرن الرابع للهجرة ، وعلى سبيل التقريب : بدأت قبل وفاة الخليل سـنة ١٧٠ أو ١٧٥ هـ ، وانتهت سنة ٣٩٧ هـ .

وكما يلتقى الرواد فى بعض نقاط المناهج التى اتبعوها فإن المدارس المعجمية تلتقى فى بعض النقاط ، وتختلف فى بعضها ، ولـكن لـكل منها شخصيتها الخاصة التى تميزها عن سواها .

وعند ما يطلع القارىء على هذه المدارس ؛ ومنهج كل منها ، سيرى الفارق بينهن واضحاً جليا .

وهذه المدارس أربع فى رأينا ، إلا أن فى وسعنا أن نجعل مرد أصولها إلى نَبْعين مختلفين ، وهى أربع لمن أراد التفصـيل ، واثنتان لمن أراد الإيجاز والإجمال .

وهاتان المدرستان هما : مدرسة المعانى ، ومدرسة الألفاظ ، أما مدرسـة المعانى فهى التى اتخذت معاجم رتبتها حسب المعانى والموضوعات ، كالغريب المصنف لأبى عبيد ، أحد الرواد المتقدمين ، والمخصّص لابن سيده ، ويدخل فى فصول هذه المدارس كل الرسائل والـكتب اللغوية التى اتخذت المعانىَ وسيلتها فى ذكر الـكلمات .

أما مدرسة الألفاظ فهى التى بنت قواعدها على علم الأصوات اللغوية ، ورتبت المعجم حسب الحروف التى تبتدىء بها أوائل الـكلمات على اختلاف

فى ترتيب الحروف ، كالاختلاف بين ترتيب الخليـــل وأبى عمرو والجوهرى والبرمكى والقالى .

فهؤلاء بنوا معجماتهم على علم الأصوات اللغوية ، ورتبوها على الحروف ، ولـكن كل واحد منهم اتخذ طريقاً خاصاً ، فالخليل رتب مواده على الحروف بحسب المخارج ، واتبعـه القالى على اختلاف يسير ، إذ خالف الخليلَ فى ترتيب حروف الحلق ، وخالفه فى ترتيب المجموعات إذ نقلها من مواضعها التى أنزلها فيها الخليلُ دون أن يغير فى ترتيب حروف كل مجموعة من المجموعات .

وأبو عمرو رتب مواده على ترتيب الحروف الهجائية المعروف وكذلك البرمكى ، أما الجوهرى فقد رتب على الحروف ولـكنه خالف من سـبقه أو لحقه ، ممن خالفوا طريقته ، خالفهم فى أنه لم ينظر إلى أول الـكلمة بل نظر إلى آخرها ، ثم رتب المواد على حروف الهجاء .

ولو قسمنا المدارس اللغوية إلى مجموعتين بهذا الاعتبار ، لـكان تقسيمنا صحيحاً ، إلا أننا آثرنا أن نفرد لـكل من ألف معجما بناه على الأصوات اللغوية مدرسة خاصة به ، نسبناها إلى رائدها أو إمامها ليكون عملنا أدق وأكثر تفصيلا .

وعلى هذا فإن المدارس اللغوية فى رأينا أربع ، لـكل منها نظـام خاص ، ومنهج خاص ، وشخصية خاصة ، وسنشير إلى سِمات كل مدرسة وخصائصها فى إيجاز .

وهذه المدارس الأربع هى :

١ — مدرسة الخليل .

٢ — مدرسة أبى عبيد .

٣ — مدرسة الجوهرى .

٤ — مدرسة البرمكى .

مدرسة الخليل

مدرسة الخليل أول مدرسة عرفتها العربية فى تاريخ المعجم العربى ، والخليل إمام هذه المدرسة وإمام المعجميين العرب عامة ، فهو أول من شق أمامهم طريق التأليفِ المعجمى ودلهم عليه ، وفتح لهم بابه .

وقِوام مدرسته ترتيب المواد على الحروف حسب مخارجها ، وتقسيم المعجم إلى كتب ، وتفريع الكتب إلى أبواب بحسب الأبنية ، وحشْد الكلمات فى الأبواب ، وقَلْبُ الكلمة إلى مختلف الصيغ التى تأتى منها ، مثل قوله فى باب السين والميم مع الواو والألف والياء : سوم ، وسم ، سمو ، مسو ، موس[1] . وإهمال ما لم يُستعمل إذا لم يجئ ؛ فهو قد أهمل فى هذ الباب « ومس » لأن العرب لم تستعمله فى رأيه .

وقد سار بعض رواد التأليف المعجمى على نهج الخليل ، فالتزمه الأزهرى فى « التهذيب » وابن عباد فى « المحيط » ، والقالى فى « البارع » .

---

(١) كتاب العين ٢ : ٢٣٨ نسخة الدكتور عبد الله درويش ، وفى نسخته المنقولة بالآلة الكاتبة ص ١٣٦ .

ولم يكن هؤلاء الرواد مقلدين ، ولم يتبعوا الخليل فى كل دقيقة من دقائق منهجه ، بل خالفوه فى بعض منهجه ، وأضافوا إلى طريقة الخليل أشياء جديدة ، وهذا الجديد الذى أضافوه أو المقصد الذى أرادوه ، نتيجة تطور التأليف المعجمى الملحوظ بين البادئ المبتكر ، والتابع المتأخر ، ولكن هؤلاء التابعين المتأخرين لم يسعهم الابتكار مثل الخليل ، ولم يستطيعوا الخروج على قواعد مدرسته المتبوعة .

فالخليل أراد أن يحصر اللغة — كما حصر العروض — حصراً علمياً ، بوساطة الأرقام ، وذكر أن عدد أبنية كلام العرب — المستعمل والمهمل — على مراتبها الأربع ؛ من الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى اثنا عشر مليون كلمة .

وطريقة الخليل فى الإحصاء طريقة دقيقة مبنية على علم الحساب ، فهو رأى أن الحروف التى تتألف منها الكلمات ثمانية وعشرون ، والأبنية أربع .

ففى الثنائى — مثلا — ذكر أن عدد أبنيته ٧٥٦ وذلك ناتج من أن عدد الحروف الهجائية ٢٨ وتضرب فى ٢٧ وهى الكلمات التى تتركب مع الحرف الذى تبتدىء به الكلمة ، بعد أن يسقط هو نفسه فى التركيب مع جنسه ، فحرف الهمزة مع الباء فالتاء فالثاء حتى الياء يكوّن سبعاً وعشرين كلمة ، فبضرب هذا العدد فى عدد الحروف ينتج ٧٥٦ منها المهمل ، ومنها المستعمل .

وهكذا صنع فى أبنية الثلاثى فالرباعى فالخماسى .

وطريقة الخليل هى الفاذة فى إحصاء مواد اللغة ، ولكن الرقم الذى ذكره ليس هو المستعمل ، بل فيه المهمل وهو كثير ، ولعله أكثر من المستعمل .

أما أتباع مدرسة الخليل فقد قصدوا إلى جمع اللغة ، ولـكنهم أرادوا مع ذلك أن يَسِمُوا عملهم بجديد ، فوصف الأزهرى عمله فى كتابه أنه « تهذيب اللغة » ونفىُ الغلط عنها وتصويب ما لحق بعض ألفاظها من تصحيف وتحريف .

أما ابن دريد فسمى كتابه « جمهرة اللغة » واسمه يدل على مقصده من تأليف معجمه ، فهو عنى بتدوين جمهور العربية ، أما غيره فيذكره عرضاً ، ومقصد ابن عباد فى « المحيط » استيعاب المواد واستدراك ما أغفله غيره ممن سبقوه ، ومقصد القالى قريب من مقصد الأزهرى .

ولم يكن هؤلاء الأتباع صورة مكرورة للخليل ، بل بينه وبينهم نقاط يلتقون فيها ، وأوجه خلاف ، ونجد هذا الخلاف بين الأتباع أنفسهم .

إلا أن هذا الخلاف بين طريقة الرائد المتبوع والأتباع لا يعود إلى قصد المخالفة ، ولـكنه التطور الذى نشهده بين المبتـكر ومن يجىء بعده ، فيزيد الخلف على السلف زيادة لا تنقص من قدر الإمام الرائد ، ففضل الابتـكار منسوب إليه ، وذكره مرفوع به .

ومن أوجه الخلاف بين رائد هذه المدرسة وأتباعها أن الخليل جعل كل كتاب فى معجمه قائماً على حرف من حروف الهجاء ، ومقسوماً إلى أربعة أبواب : الثنائى المضاعف ، والثلاثى الصحيح ، واللفيف ، وجعل الباب الرابع للرباعى والخماسىّ .

وكذلك صنع القالى ، إلا أنه أفرد لـكل من الرباعى والخماسى باباً ، وعزل ما كان ثلاثياً معتلا بحرف عن اللفيف ، وسماه الثلاثى المعتل .

والأزهرى الذى اتبع الخليلَ وسار على طريقه خطوة خطوة ، خالفه فى المهموز وأحرف العلة ، فالخليل حشد ما كان معتلا بحرف أو حرفين مع المهموز دون تفرقة ، وجعلهما فى باب اللفيف ، وأراد الأزهرى إفراد المهموز ، وعزْله عن المعتل ، ولكنه لم يوفق كل التوفيق .

وصنَع الصاحب صُنْع الأزهرى فى باب اللفيف ، وافتتح الباب بالصحيح ، ثم ما كان مبدوءاً بالهمزة ، ثم ما كان أوله واواً ، ثم ما كان أوله ياء ، ولكن لم يتَّبِع الصاحبُ هذا النهج فى الثلاثى المعتل .

وأراد ابن فارس التخلص من مدرسة العين ، ولكنه لم يستطع أن يخرج عنها ، فقد تبع العينَ فى بعض الخطوط التى خطها الخليل ، منها : أن ابن فارس قسم معجمه بحسب الأبنية ، وهذا هو بعض قواعد كتاب العين .

واتبع أيضاً طريقة أبى عمرو الشيبانى بعد أن أدخل عليها كثيراً من الضبط والإحكام ، فهو سار فى ترتيب مواد معجميه المجمل والمقاييس على ترتيب حروف الهجاء ، وكان ابن فارس أكثر توفيقاً من أبى عمرو فى ترتيب الكلمات إذ راعى الحرف الثانى ، ولكن البرمكى كان أكثر منهما توفيقاً فى هذا السبيل .

ولعل أهم عيوب هذه المدرسة — باستثناء معجمى ابن فارس — وعورة الطريق لمن يريد أن ينتقل فى ربوعها ، وصدُّها الشادىَ عن منهلها كل الصدود ، وإجهادُها العالِمَ المتمكن الذى يقصدها مسترشداً مستفيداً ، وقد أشرنا فيما كتبناه عن كتاب العين إلى هذه العيوب ، فلا ضرورة إلى إعادتها فى هذه الكلمة .

مدرسة أبو عبيد

وهي التي تنتسب إلى أحد أئمة اللغة والأدب أبي عُبيد القاسم بن سلام ، وقواعدها بناء المعجم على المعانى والموضوعات ، وذلك بعقد أبواب وفصول للمسميات التى تتشابه فى المعنى أو تتقارب ، وكانت طريقة أبى عبيد من أولى المراحل التى بدأ فيها التأليف اللغوى ، ولكن بدأ كتباً صغيرة ، كل كتاب يؤلَّف فى موضوع ، مثل كتاب الخيل وكتاب اللبن ، وكتاب العسل ، وكتاب الذباب ، وكتاب الحشرات ، وكتاب النخيل ، وخلق الإنسان ، وخلق الفرس .

وفضل أبى عُبيد أنه جمع أشتات هذه الموضوعات والمعانى فى كتاب كبير ، يضم أكثر من ثلاثين كتاباً مثل : خلق الإنسان ، والنّساء ، واللباس ، والطعام والشراب ، والسماء والأرض ، والرحل والخيل ، والسلاح ومجموع ما تضم هذه الكتب الثلاثون سبعة عشر ألف حرف وأكثر .

وعرف العرب هذه الطريقة ابتكاراً ، كما عرفوا كل ضروب الترتيب المعجمى ، إلا أن غير العرب عرفوا هذا اللون من المعجمات قبل العرب بقرون كثيرة ، فقد عرفه اليونان ، وألف فيه يوليوس بولكس yulius pollux — وكان فى القرن الرابع الميلادى — معجما رتبه على المعانى والموضوعات .

ومما لا شك فيه أن أبا عبيد لم يقلد يوليوس بولكس ، بل ابتدعه ابتداعاً ، ونقول : ابتدعه ، لأنه جمع أشتات الكتب الصغيرة المؤلفة بحسب المعانى والموضوعات ، وجمعها فى غربيه ، وقسمها أبواباً سماها كتباً ، ثم أفرد

كل كتاب بموضوع حشد فيه من الكلمات ما يتفق مع العنوان ، فمثلا حشد فى كتاب النساء كل الكلمات الخاصة بهذا الجنس .

وهداه إلى هذه الطريقة أنه وجد كتباً كثيرة ألفها أعلام اللغة وعلماء العربية الذين وقفوا كل كتاب منها على موضوع خاص ، وجاء أبو عبيد ولَمَّ شمل هذه الكتب وجمعها وأطلق عليها « الغريب المصنف » .

ولما ألف أبو عبيد غريبه فتح للناس باباً فى التأليف اللغوى والتأليف المعجمى لم يكن مطروقاً بجملته ، واتبع كثير من المؤلفين طريقته ، واتفق فى اتباعه القدماء والمحدثون المعاصرون على السواء ، اتبعه من القدماء أبو الحسن الهنائى الأزدى — المعروف بكراع النمل — فى كتابه « المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه » . وقد روى فى كتابه عن يعقوب ابن إسحاق عن على بن عبد العزيز عن أبى عبيد القاسم بن سلَّام .

واتبعه ابن سيده فى « المخصص » وتوسع فيه كثيراً ، ومن المعاصرين مؤلفا[1] كتاب « الإفصاح » .

ومن عيوب هذه المدرسة أن كثيراً من الألفاظ تأتى لمعان كثيرة ، والباحث لا يعرف فى أى الأبواب ذكر مطلبه ، وكثير من الصفات يشترك فيها الكائن الحى سواء أكان إنسانا أم حيوانا أم نباتا ، بل هناك من الصفات ما يشترك فيه الكائن الحى والجماد .

وهذا مما يصعِّب على الباحث الحصول على مبتغاه .

---

(١) هما عبد الفتاح الصعيدى وحسين يوسف موسى .

مدرسة الجوهرى

هذه المدرسة تنتسب إلى الإمام المجدد الجوهرى الذى ابتكر فى التأليف المعجمى منهجا قرَّب اللغة إلى الباحثين ، ويسَّر لهم السبيل إلى الكلمة التى يقصدون ، وهى خير من مدرستى العين والغريب المصنف ، لأنهما أسهل ، وهذا ما كثَّر أتباعها والمنتسبين إليها .

ومئات المعجمات والكتب اللغوية مرتبة ترتيب الجوهرى مما يدل على عِظَم مدرسته .

ونظام هذه المدرسة ترتيب المواد على حروف المعجم باعتبار آخر الكلمة بدلا من أولها ، ثم النظر إلى ترتيب حروف الهجاء عند ترتيب الفصول ، والأول سماه بابا ، والثانى فصلا ، فكلمة « بسط » يُبحث عنها فى باب الطاء لأنها آخر حرف فيها ، وتقع فى فصل الباء لأنها مبدوءة بها .

ولم يقف إمام هذه المدرسة عند الحرف الأخير بل نظر إلى الحرف الأول ، ثم تجاوز ذلك إلى الحرف الثانى فى الثلاثى ، والحرف الثالث فى الرباعى ، والحرف الرابع فى الخماسى ، حتى يكون الترتيب دقيقاً .

فإذا أراد باحث كلمة حبب وحجب وحدب وحرب وحزب وحسب ، لزمه أن ينظر إلى آخر الكلمة أولا ؛ وهو الباء ، واسم ذلك البابُ ، ويحشد فيه كل كلمة تنتهى بالباء ، فإذا وصل عند الباب نظر إلى أول الكلمة وهو الحاء ، واسم ذلك الفصلُ ، ويأتى بعد فصل الجيم الذى سبقته فصول الهمزة والباء والتاء والثاء ، ويجب أن يعرف نظام الجوهرى

ليسهل عليه الوصول إلى الـكلمة المقصودة ، وهذا النظام النظر إلى الحرف الثانى إذا كان اللفظ ثلاثيا ، فهو إذا أراد البحث عن كلمة « حنس » استخرج باب السين ثم فصل الحاء ، ثم نظر إلى الحرف الثانى وهو النون ، فإذا راعى ذلك تجاوز فى باب السين فصل الحاء وما وقع بينهما من حروف تسبق النون : تجاوز الهمزة والباء حتى الميم ، ليلتقى بالنون ، فيقف على الـكلمة المقصودة « حنس » .

وهكذا فى الرباعى والخماسى .

فنظام مراعاة الحرف الثانى والثالث فالرابع ما يزال متبوعاً حتى عصرنا هذا من مؤلفى المعجمات ، وسيتبعه كل من يؤلف معجما .

وقد فحص الجوهرى طريقة الخليل ومن اتبعه فوجدها مجهدة مُعْيِيَة تنبتُّ بالباحث أو تبهر أنفاسه حتى يصل إلى مقصده ، ولعـله اطلع على كتاب الجيم فلم تعجبه طريقته فى اتخاذ سبيل أوائل الـكلمات ، و إغفال النظر إلى الثانى ، لأن فاء الـكلمة يلحقها التغيير وتنتقل من مكانها وتتأخر إذا سبقها حرف مزيد ، مثل الـكاف فى كرم تصبح ثانيا إذا جاءت مزيدا ، فى مثل : أكرمَ ، وتـكرَّمَ أو مكرم . ويحار النّشادى — إذا كان غير عارف بالمجرد والمزيد — أين يجد هـذه الـكلمات ، أيبحث عن أكرم فى باب الهمزة ، وعن تـكرم فى باب التاء ؛ وعن مكرم فى باب الميم .

إنه لم يتخذ طريق الخليل لوعورته وصعوبة السير فيه ، ولم يأخذ بنظام أبى عمرو لأن فاء الـكلمة غير ثابتة فى موضعها ، واتخذ له سبيلا جديداً غير معروف وغير متبوع ، هداه إليه علمه بالنحو والصرف ، ألا وهو أن لام

الكلمة لا تتغير ، بل ثابتة ، وإذا ضعّفت انتقلت من باب إلى باب ، مثل جلبب تنتقل من الثلاثى إلى الرباعى .

ولهذا بنى نظامه على آخر الكلمة تاركا أولها آخذا به فى ترتيب الفصول ، فالبحث فى الصحاح فى كرم وأكرم وتكرم ومكرم يقتضى أن يفتح باب الميم ، ثم يقصد فصل الكاف ، وإذا كان الباحث يجهل المجرد والمزيد وسعه أن يبحث فى هذا الباب فى الحرف الذى تبدأ بها الكلمة .

وفى هذا عناء له ، ولكنه أقل من عناء الباحث فى كتاب العين وفى كتاب الجيم .

ومن أشهر أتباع هذه المدرسة الإمام الصغانى فى معجماته المعلمات المشهورات : « التكملة والذيل والصلة » و « مجمع البحرين » و « العباب » ، والفيروزبادى فى « القاموس » وابن منظور فى « اللسان » .

ومع أن الفيروزبادى أراد من تأليف القاموس منافسة الجوهرى وإظهار عجزه وقلة بضاعته فإنه لم يستطع أن يبتكر سبيلا جديدة ، بل اتبع الجوهرىّ فى النظام والترتيب والمنهج .

ولم ننسب هذه المدرسة إلى الفارابى مع تقدمه ومع أن الجوهرى يلتقى معه فى بعض النقاط ، لأن الفارابى ألمع إلماعا إلى بعض منهج الجوهرى ، ولكن الجوهرى جاء بما وفّى على الغاية ووصل فيه إلى النهاية ، وأحكم النظام ، وضبط المنهج ، فانتسبت المدرسة إليه ، وهو بهذه النسبة جدير ، لأنه إمامها الفاذ ، وعلمها الذى لا تخطئه العين مهما ابتعدت عنه .

مدرسة البرمكى

هى المدرسة التى اتخذت ترتيب المعجم على الحروف الهجائية ، مبتدئة بالهمزة منتهية بالياء مع مراعاة الحرف الثانى والثالث والرابع .

ورائد هذه المدرسة إمام اللغة والعربية العظيم أبو عمرو الشيبانى ، ولكنه لم يراع فى الترتيب إلا الحرف الأول ، أما ما بعده فلم يُراعِه ، فهو يذكر فى باب الهمزة كل حرف مبدوء بها دون أن يراعى ما بعدها من الحروف فى ترتيب المواد ، فهو قد ذكر فى باب الهمزة هذه الألفاظ على هذا الترتيب :

الأوق

الألب

المأفول

الأفق

الأزوح

المأموم

وآخر كلمة ذكرها فى هذا الباب « الإدة » مع أن حقها أن تذكر قبل أول كلمة ذكرها فى معجمه .

ولهذا لم ننسب المدرسة إليه لأنه لم يحكم النظام ، بل التزم أول الكلمة دون أن ينظر إلى ما بعدها ، أما البرمكى فقد نظر إلى الحرف الذى تبتدئ به الكلمة ، وراعى الحرف الثانى إذا كان اللفظ ثلاثياً ، والثالث إذا كان رباعياً ، والرابع إذا كان خماسياً .

وسهل له هذا أن الجوهرى راعى هذه القاعدة ، ومع هذا فإن البرمكى

أجهد نفسه فى ترتيب المواد ، لأنه أخذ الصحاح ورتبه ترتيباً جديداً حيث جعله على أوائل الحروف ، مما عده العلماء المتقدمون إغراباً فى الترتيب .

وطريقة البرمكى أنه أخذ من الصحاح من كل باب وفصل الحرف الذى يريده ، ففى باب الهمزة أخذ منه فصل الهمزة ، ومن باب الباء والتاء والثاء والجيم حتى الياء فصل الهمزة ورتبها على أوائل الحروف مراعياً الحرف الثانى والثالث ، ثم انتقل إلى باب الباء وصنع فيه ماصنع فى الهمزة حتى انتهى إلى آخر حرف فى حروف الهجاء .

وننقل للقارئ رءوس المواد من باب الهمزة ليرى القارىء طريقة البرمكى ، وهى الطريقة المتبعة فى التأليف المعجمى الحديث .

ا	ابل	اثث	احح	اذن
آ	ابن	اثر	احد	اذا
ابب	ابه	اثف	احن	ارب
ابت	ابو	اثل	اخذ	ارث
ابث	ابى	اثم	اخر	ارج
ابد	اتب	اثو	اخو	ارخ
ابر	اتت	اجأ	ادب	ارر
ابز	اتل	اجج	ادد	ارز
ابس	اتم	اجر	ادر	ارش
ابض	اتن	اجص	ادل	ارض
ابط	اته	اجل	ادم	ارط
ابغ	اتو	اجم	ادو	ارف
ابق	اتى	اجن	اذ	ارق

ارك	اسك	اطط	الب	امن
ارم	اسل	اطل	الت	امه
ارن	اسم	اطم	الخ	ان
ارو	اسن	افخ	الس	انب
ازب	اسو	افد	الف	انت
ازج	اشب	افر	الق	انث
ازح	اشر	افف	الك	انع
ازد	اشش	افق	الل	انس
ازر	اشف	افك	الم	انض
ازز	اصد	افل	اله	انف
ازف	اصر	افن	الا	انق
ازق	اصص	اقر	الى	انك
ازل	اصف	اقط	ام	انن
ازم	اصل	اقن	امت	انه
ازو	اصطبل	اقه	امج	انا
اسب	اصو	اكد	امد	انى
است	اضخ	اكر	امر	او
اسد	اضض	اكف	امس	اوب
اسر	اضم	اكك	امع	اود
اسس	اضو	اكل	امل	اور
اسف	اطر	اكم	امم	اوز

اوس	اون	اهل	ايض	اين
اوف	اوه	اهن	ايك	ايه
اوق	اوو	ايد	ايل	ايا
اول	اهب	اير	ايم	اياه
اوم	اهق	ايس	ايما	اى

ويدل هـذا الترتيب على أن البرمكى أول من رتب المواد ترتيباً محكما سبق به أصحاب المعجمات الحديثة كلها ، وسبق الزمخشرى الذى نسبت إليه هذه الطريقة وهما ، فالزمخشرى تأخر ميلاده عن البرمكى بأكثر من قرن ونصف قرن لأنه توفى سنة ٥٣٨ هـ ، والبرمكى كان حياً سـنة ٣٩٧ هـ وهى السنة التى انتهى فيها من تأليف معجمه ، وسبق كل من رتب المعجمات على أوائل الحروف ، ونقلنا رءوس المواد من باب الهمزة لنعطى الصورة الدقيقة لمنهجه الدقيق الذى لم يأت مَن بعده فيه بجديد يذكر ، بل كلهم سار على طريقه وتأسّى خطاه .

فهو صاحب هذه المدرسة وإمامها الذى لا ينافر ولا ينازع .